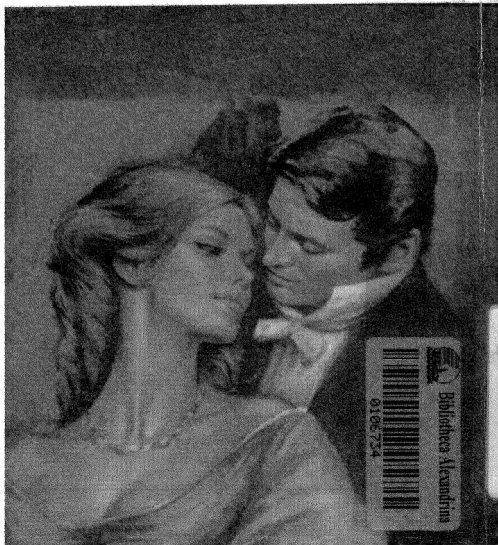


كُنْتُ جَاسُوسًا

سُورِسْتُ مُؤَمَّ



المركز القومي للكتاب



کنت هاسوسا

القصر العالمية للجميع

كُنْتُ جَاسُوسًا

سُومِرست مُوم

ترجمة
د. ابراهيم إسكندر

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

رقم التخصيص

رقم التسجيل

منشورات

المكتبة الحديثة - بيروت

دار الشرف العربي - بيروت

مؤلف الرواية

وليم سومرست موم ، الكاتب الروائي الماصر ، اشتهر بكثرة اتساجه ، وانتشار مؤلفاته التي لا يقل عددها عن ستين مؤلفا ملين روايات مسرحية ، وقصص ، وكتب سياسية . ويمتاز بأنه كاتب واقعي ، يستمد قصصه من الحياة ، ومن ملاحظاته للناس في اسفاره العبدية . وهو يكره الحواشي والادراف ، ويعمد الى الوقائع مباشرة ، يمزج الحقيقة بالخيال ، مزج كاتب خبير بفن القصص ، عليم بطبائع النفوس ، ميل الى السخرية

ولد سنة ١٨٧٤ وتعلم في « مدرسة الملك » بكاتربري ورحل في نشأته الى باريس فتعلم اللغة الفرنسية واقتنها ، ثم عاد يدرس في إنجلترا ، وبعدئذ انتقل الى جامعة هيدلبرج بألمانيا ، ثم سافر الى ايطاليا وتعلم اللغة الإيطالية بمدينة فلورنس . وهكذا جمع في سنى شبابه محصولا وافرا من المعارف والمعلومات واقتن عدة لغات . وقد الف اول رواية بعنوان « ليزا أوف لبت » وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، واستمد موضوعها من ملاحظاته وهو طلب طب يتغرب في أحد المستشفيات بلندن ، حيث عرف الفقر ووقف على ظروف الفقراء

ومع انه درس الطب ، لم تجذبه مهنة الطب ، كما لم تمجبه مهنة المحاماة من قبل ، ومال الى الادب وحده ، خصوصا بعد أن نجحت روايته الاولى نجاحا رائعا ، وعدت من بدائع القصص الواقعي . وكان أبوه وجده محامين ، وقد وصل أخوه اللورد موم الى منصب وزير مالية بريطانيا ، ولكن وليام سومرست آثر الادب على كل منصب ، وكل مهنة أخرى

وبعد نجاح روايته الاولى شرع يؤلف للمسرح ، غير أن مديري المسارح رفضوا رواياته الهزلية التي قلمها ، حتى كاد يئأس من

النجاح في هذا المجال ، واذا بهزلية تدعى « اللادى فردريك » يقبلها
 احد المسارح فتنجح نجاحا منقطع النظير . وتدور حوادنها حول
 شاب وقع في غرام حسناء اكبر منه سنا . ثم تلتها هزليات اخرى ،
 فيها نقد للمجتمع وقد نجحت كلها كذلك

وعندما نشبت الحرب الاولى عام ١٩١٤ دخل الخدمة الطبية
 العسكرية في فرنسا ثم نقل الى تلم المنابرات البريطانية في انجلترا
 وقد تأثرت صحته من العمل المتواصل فسافر الى جزر الجنوب
 مارا بأمريكا ، ووجد في تلك الجزر الهدوء الذى ينشده ، وعاد
 بملاحظات وذكريات اعانته في تأليف «روايته» « القمر وستة بنسات »
 ولكنه اوفد قبل أن يتم هذه الرواية في بعثة دبلوماسية الى روسيا .
 وهناك عاوده المرض ، ورجع الى انجلترا مريضا بذات الرئة ، فدخل
 مصحبا امضى فيه عدة اشهر حتى عوفي من دائه . وسرعان ما حفزه
 حب السفر الى ان يبحر الى الصين ، وقد عاد منها برواية جديدة
 وهكذا ظل على سفر دائم ، يستمد منه موضوعات لقصص -
 ينشرها بالمجلات الانجليزية والامريكية او يؤلف منها كتباً وروايات
 وقبل نشوب الحرب العظمى الاخيرة كان قد استقر في « فيللا »
 سماها « بورسك » عند رأس فرات بالقرب من مدينة نيس . ولكن
 الالمانيون احتلوا فرنسا في عام ١٩٤٠ فاضطر الى الفرار في باخرة فحم
 حتى وصل الى انجلترا ، ثم لجأ الى أمريكا حيث استقر في مزرعة
 بولاية كارولينا الجنوبية . وهناك عاد الى تأليف الكتب والروايات
 والقصص . وقد اقبل الأمريكيون على رواياته يخرجون منها افلاما ،
 فلقبت هذه الافلام نجاحا عظيما حيثما عرضت في أمريكا وغيرها من
 البلدان



شخصيات الرواية

- ♦ **اشندن Ashenden** : اسم الجاسوس الانجليزى الروائى الطبيب . وهو اسم مستعار للمؤلف نفسه
- ♦ **سومرفيل Somerville** : اسم مستعار له فى احدى مغامراته بمدينة لوسرن فى سويسرا
- ♦ **كايبور Caypor** : صحفى انجليزى خان بلاده وعمل جاسوسا للألمان فى سويسرا ، وزوجته الماتية . .
- ♦ **جوستاف Gustav** : اسم سرى لوزع تجارى سويسرى يعمل فى خدمة المخابرات الانجليزية ، واسمه الحقيقى جرابوا Grabow
- ♦ **شندرالال Chandra Lal** : من احرار الهند العاملين على القضاء على الاستعمار الانجليزى فى الهند
- ♦ **جوليا لازارى Guilla Lazari** : عشيقه شاندرالال الابطالية التى تحترف الرقص الاسبانى الشعبى تحت اسم مالاغويينا Malaguena
- ♦ **الجنرال كارمونا Carmona** : جنرال مكسيكى مطرود من بلاده عقب انقلاب فى الحكم ، ويعمل فى خدمة المخابرات الانجليزية ولا يتورع عن ارتكاب اية جريمة
- ♦ **اندرىادى Andriadi** : جاسوس لحساب المانيا ، يونانى الجنسية قادم من بلاد اليونان الى ايطاليا فى مهمة سرية
- ♦ **الكولونيل Colonel R.** : مدير المخابرات العسكرية الانجليزية، والرئيس المباشر لاشندن والعقل الموجه لمغامراته ومغامراته

الفصل الأول

الرسم السري

في أوائل سبتمبر عاد أشندن الكاتب المحترف الى الجزيرة البريطانية بعد مصائب جمة بسبب نشوب الحرب . وبعد ذلك بأيام جمعته الظروف في إحدى السهرات بكونينيل كهل لم يعلق اسمه بذهنه . ودار بينهما حديث مما يسمر به الناس عادة في مثل تلك الحفلة . وقبيل انصرافه قال له الضابط :

— لديك مانع من زيارتي في مكتبي لنتحدث بعض الوقت ؟

— ليس عندي مانع بالتأكيد . متى تحب أن أورك ؟

— غدا في الحادية عشرة . هل يوافقك هذا الموعد ؟

ولما أبدى له موافقته كتب له عنوانه بالقلم الرصاص . ولما هم أشندن في اليوم التالي بالذهاب في الموعد المحدد وجد نفسه يدخل شوارعاً عتيقا كانت مبانيه بالطوب الأحمر تدل على أبنائها في القدم ، كما تدل على أن هذا الشارع كان من الشوارع الهلعة في الماضي . وكان البيت المقصود يحمل لافتة للبيع ونوافذه مغلقة كلها مما يوحي بأنه غير مأهول

ورن أشندن جرس الباب ففتح له على الفور ضابط لم يوجه له أي سؤال بل أدخله على الفور الى حجرة مستطيلة في مؤخرة البيت كانت يوما ما حجرة مائدة . وزخارفها لا تتفق إطلاقا مع أثاث المكتب القديم الموضوع فيها . ونهض الكولونيل لاستقبال أشندن وشده على يده . وعرف أشندن فيما بعد أن هذا الكولونيل يطلق عليه في المخابرات البريطانية اسم سري مكون من حرف واحد لا أكثر هو : « ر » . وهو رجل طوله أكثر من المتوسط بقليل ، له وجه أصفر به خطوط دائرية ، وشعره خفيف أشهب اللون ، وشاربته أشبه

بفرشة الاسنان . وكان الذى لفت ذهن أشندن لاول وهلة التقارب الشديد بين مقلتيه الزرقاوين . وكانت عيناه قاسيتين يقطبتين تضفيان عليه سمة الدهاء بحيث تشعر من النظرة الاولى أنك ازاء رجل لا يحب ولا يوثق به ، مع أن لهجته ودية وسلوكه لطيف

والقى الكولونيل على أشندن أسئلة كثيرة ، ثم قال له من غير تمهيد أن فيه صفات كثيرة ترشحه لخدمة المخابرات السرية ، فهو يتقن عدة لغات أوروبية . وحرفة التأليف تصلح غطاء جيدا لتنقلاته وأقامته بعض الوقت في الدول المحايدة

ولم يستغرق الاثنان وقتا طويلا في الوصول الى اتفاق . وعندما نهض أشندن للانصراف كان قد سجل بعناية التعليمات الدقيقة الصادرة اليه . وأولها أن يسافر الى جنيف في اليوم التالي وكانت آخر كلمات الكولونيل وهو يصافحه مودعا :

— من واجبي أن أبصرك بما ينتظرك في هذه الخدمة . ان احسنت فلن تتلقى الشكر . وأن انزلت في مكروه فلن تجد عوننا منا . فهل هذا مما تطيب به نفسك ؟

— تماما

— أذن اتمنى لك التوفيق



الفصل الثاني

زيارة

كان أشندن في طريقه عائدا الى جنيف والليلة عاصفة والرياح تهب باردة من الجبال ، ولكن الباخرة الصغيرة ظلت تشق طريقها باستمرار بين امواج البحيرة المتلوجة ، والمطر ينهمر وابلا على سطحها في عنف كأنه امرأة تتساقبه لا تريد ان تترك بابا للازعاج الا طرقته

وكان أشندن قد رحل الى فرنسا كي يكتب تقريرا ويرسله من هناك . وقبل ذلك بيومين حضر أحد عملائه الهنود الى مسكنه في نحو الساعة الخامسة بعد الظهر على غير موعد سابق ، وكانت التعليمات الصادرة الى العملاء الا بقبولوه في الفندق الا للضرورة القصوى . وقال الهندي ان بنغاليا في خدمة الالمان وصل اخيرا من برلين ومعه حقيبة سوداء بها تقارير ووثائق تهم الحكومة البريطانية . وفي ذلك الوقت كانت سياسة الاعلاء العمل على آلة التاعب في الهند كي تضطر الحكومة الانجليزية الى ابقاء جيوشها هناك مشغولة بقمع الاضطراب ، هذا ان لم تضطر لارسال مزيد من جيوشها الموجودة في فرنسا . وقد اتضح انه يمكن حمل السلطات في برن على اعتقال ذلك البنغالي بتهمة ما ، ولكن الحقيبة السوداء لم يعثر لها على اثر

وكان الهندي عميل أشندن رجلا شديد البراعة واسع الحيلة كثير الاختلاط بمواطنيه المعادين لبريطانيا فعرف ان البنغالي كان قد احتاط للأمر فترك الحقيبة في مخزن الامانات بمحطة زيورخ . فلما قبض عليه والتقى في السجن انتظارا للمحاكمة لم يعد في وسعه ان يسلم البطاقة لاحد اعوانه كي يسحب الحقيبة من المخزن . وكان

من المهم جدا لدى المخابرات الألمانية أن نؤمن محتويات الحقبة على وجه السرعة . ولما كان من المستحيل عليهم الحصول على الحقبة بالوسائل الرسمية العادية من غير البطاقة ، فقد استقر رأيهم على مهاجمة المحطة في هذه الليلة بالذات لسرقة الحقبة . وهي خطة جريئة متهوره ، ولكن أشندن وجد فيها ما يثير اهتمامه ، بعد أن تسرب اللال الى نفسه من رقابة العمل . وكان يعرف أن رئيس المخابرات الألمانية في برن رجل مندفع لا يعرف التورع

وكان الموعد المحدد لذلك الاقتحام هو الساعة الثانية من صباح الفد . ولم يكن في استطاعة أشندن أن يثق بالبرق أو التليفون في الاتصال بالضابط البريطاني في برن . والعميل الهندي لم يكن في وسعه أن يذهب لمقابلة ذلك الضابط في برن ، لانه حمل رأسه على كفيه حينما حضر الى جنيف لمقابلة أشندن . ولو شوهه خارجا من حجرتة بالفندق لاعتبره مواطنوه خائنا . وصار من المرجح أن توجد جثته طافية بعد ايام قلائل على وجه البحيرة وقد غار الخنجر في ظهره حتى المقبض . فلم يبق أمام أشندن اذن الا ان يسافر بنفسه الى برن

وكان هناك قطار مسافر الى برن بعد دقائق قليلة فأسرع أشندن . وبعد أربع ساعات كان يطرق باب قيادة المخابرات هناك . وكان اسمه غير معروف لاحد هناك سوى شخص واحد طلب أشندن مقابلته ولم يكن قد التقي به من قبل ، فجاءه رجل طويل القامة يبدو عليه التعب فقاده الى مكتب متعزل . وأفضى اليه أشندن بمهمته ، وعندئذ نظر الرجل الطويل الى ساعته ، وقال :

— أن الوقت لا يتسع كى نعمل شيئا بأنفسنا . لائنا لن نصل الى زوروخ في الوقت المناسب . فمن الخير أن نوعز الى السلطات السويسرية بالعمل حتى اذا اقتحم أصحابنا المحطة وجدوها في حراسة شديدة . ويستحسن أن تعود انت الى جنيف

وصافح أشندن وودعه الى الباب . وأدرك أشندن انه لن يعرف بقية القصة لانه مجرد حلقة صغيرة في سلسلة ضخمة من العملاء السريين

وكان يشعر بالبرد شعورا شديدا رغم معطفه المبطن بالفراء ، وقد

وطن النفس على اخذ حمام ساخن بمجرد وصوله الى الفندق ، ثم يتناول عشاء دسما بجوار المدفأة في حجرة النوم وهو في بيجامته ، كى يسرى الدفء الى اوصاله المقرورة ، ثم ينظو بعدئذ الى غليونه وبين يديه كتاب . وكانت هذه الامنية كافية لتخفيف فظاعة الجو على سطح الباخرة الصغيرة . وكان جواز سفره لا يحمل اية اشارة الى قدومه من فرنسا . وهذا الجواز خال من الاختتام الفرنسية مما قد يعرضه لمتابع ، ولا سيما أن البوليس السرى السويسرى كان شديد اليقظة لوضع حد للمؤامرات والدسائس التى يقوم بها الفريقان المتحاربان فوق الاراضى السويسرية المحايدة

وكان هناك كالمادة ضابطان من ضباط الشرطة على الرصيف لمراقبة النازلين من الباخرة . وتنفس اشندن الصعداء عندما تخطاهما من غير أن يحدث شيء . وسرعان ما اتجه تحت جناح الظلام نحو فندقه . وكانت المتاجر قد اغلقت ابوابها وختل الشوارع الا من عند يسير جدا من المارة . وكان فندقه في مواجهة البحيرة ، فما ان فتح له البواب حتى أسرع يخرق بهسو المتلاين بالانوار ليركب المصعد . واذا بعمل الاستقبال يخبره ان في حجرته سيدين ينتظران مودته . ولم يكن لاشندن اصدقاء في جنيف فقال بدهشة :

— من تراهما يكونان ؟

وابتسم الرجل الذى كانت هبات اشندن السخية تعمره ، وقال :

— لا اخفى عليك انهما من رجال الشرطة

— ماذا يريدان ؟

— لم يصحرا لى بشيء عن فرضهما . لقد سالا عنك فقط فقلت انك خرجت لنزهة . فاصرا على انتظار مودتك الى حجرتك

— ومنذ متى ؟

— منذ ساعة .

وغاص قلب اشندن ولكنه لم يدع ملامحه تنبئ عن قلقه ، وغادر المصعد متعللا للعامل بأنه يريد الصعود على قدميه ليقاوم البرد . والحق انه صعد الطبقات الثلاث ببطء ليمنح نفسه مهلة للتفكير

وكان على شبه يقين من سبب حضور ضابطى الشرطة . ولعن ظروف التعب بعد الرحلة المرهقة والبرد الشديد . فليهبته لديه

الهمة كي يجابه موقفا عصيبا . وليس لديه الاحتمال تقضاء مثل هذه الليلة القظيعة في زنزانة الحبس

وخطر بباله أن ينزل ثانية ويقادر الفندق ويترك حقائبه ويستقل أول قطار الى خارج الحدود السويسرية . ولكن قديمه لم تستجيبا لهذا الخاطر واستأنفتا الصعود . مع أنه كان يعلم جيدا أن ثبوت مهمة النشاط المناق للحياد معناه السجن سنتين . ولكن هذه ضريبة العمل في المخابرات كما أن التعرض للقتل ضريبة الجالس على العرش

ولما وقف أخيرا أمام باب حجرته المقلل بدأت عزيمته تتجمع وذهنه يتوقد . وكانت الابتسامة الطبيعية على شفثيه عندما فتح الباب وواجه زائريه بتحية تفيض بشاشة ومودة

وكانت جميع الانوار في الحجرة مضبوطة . والنار متوهجة في المدفأة . ودخان السجائر يملأ الجو . وكان أشندن مجبا للاناقة والترتيب . فاستطاع أن يظن بنظرة واحدة الى أن جميع محتويات الحجرة فتشت تفتيشا دقيقا . ولم يؤمجه ذلك لانه لم يكن يحتفظ في حجرته بأية وثيقة يمكن أن توقعه في مازق . وأما شفرته فكان يحفظها عن ظهر قلب . ولكن عملية التفتيش نفسها أكلت أوتياب السلطات السويسرية في أمره

— أبة خدمة أستطيع تقديمها لكما ؟ بها السيدان ؟ الستما تجدان الجو حارا هنا فيحسن أن تخلعا معطفيكما وقبعتيكما ؟ — لن نبقي الا برهة وجيزة

وخلع أشندن وشاحه ومعطفه الثقيل ثم قدم اليهما مسيجارا فائرا ، أخلاه من غير كلمة شكر . ولكن فخامة السيجار أوحث اليهما بشيء من الاحتشام والاحترام فخلعا قبعتيهما ، ثم قال أحدهما :

— نحن من الشرطة . ونريد الاطلاع على جواز سفرك

وأبرز أشندن جواز سفر جديد ليس فيه أية معلومات عن تحركاته سوى أنه جاء من لندن منذ ثلاثة أشهر ولم يبرح سويسرا حتى ذلك الوقت . وتناول أحدهما الجواز ونظر فيه بعناية ثم أعطاه لزميله وهو يقول :

— افئه على ما يرام

وكان اشندن في تلك الاثناء واقفا امام النار يتدفقا وبين شفقيه
سيجارة فلم يعلق بشيء وان كان يرقب الرجلين بحذر خفى يموهه
بطلاقة محياه . ثم رد اليه احدهما الجواز ، وهو يقول :

— لقد كلفنا مدير الشرطة بالاستعلام منك عن بضعة أمور . اذ
يبدو ان الكثيرين من النزلاء قدموا شكاوى من الضجة التي يحدثها
المنصرفون من الكازينو في ساعة متأخرة من الليل فاجيبنا ان نعرف
هل انت شخصا ممن ازعجتهم الضجة ؟ فلو كانت الضجة شديدة
اسمعتها حتما لان طريقهم من تحت نافذتك

وذهل اشندن لاهتمام مدير البوليس براحته في منامه الى هذه
الدرجة . ولكنه رجح ان الرجل تملل بهذا العذر لانه لم يجد ضده
دليلا يبرر مواجهته بالاشتباه . فمن المقطوع به ان هناك من وشى
باشندن ، ولكنه قال بصورة طبيعية للغاية :

— الحقيقة اننى اتام نوما عميقا . ولم يزعجنى في اقامتى شيء .
ولو فرضنا اننى استيقظت مرة من نومي على الضجة فلن يخطر
ببالى ان اتقدم بشكوى . فمن حق الناس ان يمحروا في هذا الوقت
العصيب الذى تجتازه البشرية . هذا شعورى ايها السيدان

— لقد لاحظت في جواز سفرك ان مهنتك التاليف ياسيدى . وهى
مهنة جلية تجلب لصاحبها المجد ، فعماذا تفعل هنا في جنيف ؟

فشعر اشندن ان وراء السؤال ما وراءه ، وقال ببرادة تامة :

— اؤلف مسرحية

واشار بيده الى الاوراق المتناثرة على المنضدة ، وكان واقفا انهما
اطلعا عليها قبل حضوره . فقال احدهما :

— ولماذا اؤلف مسرحيتك في جنيف بالذات لا في وطنك .

فازدادت ابتسامة اشندن اشراقا . وكان هذا السؤال من الاسئلة
التي اشد الكتابة عنها منذ قدومه الى سويسرا ، فقال :

— هل نسيت الحرب ؟ ان وطنى في حالة قلق بسبب الحرب فمن
المستحيل ان اجد هناك الهدوء اللازم لكتابة المسرحية

— وهل هى ملهامة ام مأساة ؟

— ملهامة من النوع الخفيف . والفنان يحتاج الى الهدوء والسلام

كى بنتج . وكيف يتوفر ذلك فى بلد محارب ؟ ومن حسن حظ
سويسرا أنها محايدة . ولذا خيل الى أننى سأجد فى جنيف الهدوء
الذى أشتده

وظهر الافتناع على الشرطيين فنهضا وصافحهما أشندن .. ثم انطلق
خلفهما الباب وزفر زفرة أرتياح عميقة دخل بعدها الحمام ، وهو
يتذكر مشاحنة حدثت منذ بضعة أيام بينه وبين سائق سويسرى
من اصل المائى طلب زيادة أتعابه فرفض أشندن . وانصرف السائق
برنارد حائقا . ورجع أشندن أن برنارد هو الذى وشى به الى
السلطات السويسرية . وحمد ربه لأن الازمة مرت هذه المرة
بسلام



الفصل الثالث

الآنسة كنج

استلقى أشندن مسترخيا في حوض الاستحمام ، مسلما بدنه للعاء الساخن ، وقد سره أنه سيتمكن في الغالب من اتمام مسرحيته في هدوء وسلام . فالشرطة قد صرفوا انظارهم عن تعقبه في الوقت الحاضر وإن كان من المحتمل أنهم بدؤوا يرقبون حركاته منذ الآن بشيء من العناية . ولكن من غير المتوقع أن يتخذوا ضده خطوة أخرى قبل أن يكون قد أتم على الأقل مسودة الفصل الثالث . فمن الواجب إذن أن يلزم جانب الحيلة لأن زميله في مدينة لوزان حكم عليه منذ أسبوعين بالحبس . ولكن ذلك ينبغي ألا يثقل على أعصابه ، فسلفه في مدينة جنيف أصيب بانتهيار عصبي على أثر الضغط الناتج من مراقبة الشرطة المستمرة له ، ولذلك اضطر المسئولون أن يسحبوه وأرسلوا أشندن ليحل محله

وأهم شيء في عمل أشندن أن يذهب مرتين كل أسبوع إلى السوق ليتلقى التعليمات التي تحضرها له فلاحه عجوز من إقليم السافوا الفرنسي تأتي إلى جنيف لتبيع الزبد والبيض مع رفيقاتها . والتفتيش على الحدود ليس دقيقا لأن أولئك الفلاحات يصلن إلى نقطة التفتيش قبيل الفجر ، والموظفون نيام ، فيتخلصون من ثرثرتهن وضجتهن بأسرع وقت . ولا يخطر بالبال أن هذه العجوز السمينة المتسودة الوجه التي يفتر فمها عن ابتسامة ساذجة تخبيء بين ثدييها الضخمين قصاصة صغيرة من الورق تكفي لالقاء القبض عليها وعلى كاتب انجليزى يزحف إلى أواسط العمر . وكانت هذه المرة تقدم على هذه المجازفة ثمنا لإبعاد ابنتها عن خنادق الميدان

وكان أشندن يذهب إلى السوق بعد التاسعة عندما تكون ربات

البيوت قد فرغن من شراء حوائجهم ، ويقف امام السلة ليشتري نصف رطل من الزيت ، ويعطيها ورقة مالية فتد الى بقية نقوده ، ومعها القصاصة الصغيرة ، فيدس قبضته في جيبه . ويعود مسرعا الى الفندق فيطالها خلصة ويحفظها عن ظهر قلب ثم يحرقها ...
وتنهذ اشندن لان حرارة الماء بدأت تقل ، ولم يكن في استطاعته ان يصل الى الصنبور المرتفع بيده ولا بأصابع قدمه ، وهو راقد . ولو نهض ليضيف ماء ساخنا الى الحوض ، سيكون قد تخلى عن الاسترخاء ، وعندئذ يستوى عنده العودة الى الماء الساخن او الخروج من الحمام

وظل اشندن مترددا برهة ، وهو يسلى نفسه بذكر الفكاهات التي يريد ابرادها في مسرحيته . واذا به يسمع طرقا خفيفا على باب حجرته كهتف :

— من الطارق ؟

— رسالة

— ادخل وانتظرني دقيقة

وخرج اشندن من حوض الاستحمام واحاط نفسه بمنشفة ثم دخل حجرته فوجد وصيفا من وصفاء الفندق ينتظره برسالة من احدى التزيلات تدعوه للعب البريدج بعد العشاء في جناحها الخاص . والرسالة بتوقيع البارونة فون هيجنز . وكان اشندن يتوق الى تناول عشاءه في حجرته وهو بملابس النوم ثم يطالع كتابا بجوار المدفأة . فهم ان يرفض الدعوة ، ثم خطر له ان الرفض في مثل ظروفه غير مستحب ، بل يستحسن ان يظهر ساعة العشاء في حجرة المائدة الكبرى . فلا بد ان اخبار زيارة رجال الشرطة له قد ترددت على الالسنه . فمن الواجب ان يظهر ان هذه الزيارة لم تترك لديه اثرا سيئا . واحجابه عن الظهور في قاعة المائدة ورفضه دعوة البارونة سيفسر نفسرا سيئا

وخطر بباله ايضا انه ربما كان المبلغ ضده من نزلاء الفندق . وكان اسم البارونة فون هيجنز من بين الاسماء التي حامت حولها ظنونهم . فعن الطريف ان يلعب معها البريدج . ولذا قال الرسول انه يسره لتلبية الدعوة ، ثم شرع يرتدى ملابس السهرة

كانت البارونة فون هيجنز امرأة نمساوية ، تتكلم الانجليزية والفرنسية بطلاقة تامة . وكان جدها لايها سائسا انجليزيا في يوركشير . صحبه معه الى النمسا احد الامراء . وكان السائس الانجليزى جميل الصورة ففتن احدى الفرنديات واستغل تلك اللحظة بحيث اصبح فى نهاية حياته بارونا ووزيرا مفوضا للنمسا لدى بلاط احدى الامارات الإيطالية

والبارونة هى حفيدته الوحيدة ، تزوجت زواجا غير موفق ، ثم انفصلت عن زوجها واستردت اسم عائلتها . ولكنها لم تكن تنكر من جدها سوى انه كان سفيرا . ولا تشير طبعا الى انه بدأ حياته سائسا . وقد علم اشدنن هذه الحقيقة من فينا عندما توثقت بينهما المعرفة ولاح له أن معرفة المزيد عن حياتها امر يقتضيه الحرص فى مهنته

وعلم ايضا من فينا أن ايرادها الخاص لا يسمح لها بالحياة على هذا المستوى الباذخ فى جنيف . ولما كانت تتحلى بمزايا كثيرة تركيها لمهنة الجاسوسية ، فمن قبيل الاحتياط يجب اعتبارها جاسوسة . وعلى هذا الاساس صار اشدنن يراها زميلة فى المهنة ، مع اختلاف فى العسكر

وعندما نزل اشدنن الى حجرة الطعام وجدها قاصدة بالناس ، فجلس الى مائدته المعتادة ، ثم طلب - على حساب الحكومة البريطانية - زجاجة شمبانيا . واقت الى البارونة بابتسامة خلابة ، وهى امرأة تجاوزت الأربعين ، بيد انها اتيقة ورشيقة ذات جمال خللاب للغاية : شقراء ذهبية الشعر ذات ملامح دقيقة ، ومقلتين زرقاوين ، وأنف مستقيم ، وبشرة يختلط فيها الورد باللبن ، ترتدى ثوب سهرة يبدى من جيدها الاتع أكثر مما يخفى . ومع فخلمة ثيابها لم تكن تتحلى بمجوهرات ، مما يدل على أن الدولة التى تستخدمها فتحت لها حسابا ضخما لدى دور الازياء . ولم تفتح لها حسابا لدى تجار المجوهرات

وفى اثناء انتظار اشدنن لاطباق الطعام جعل يجيل بصره فى القاعة . ومعظم الحاضرين اشخاصهم مالوفة لديه ، فمدينة جنيف فى ذلك الحين كانت مهد الدسائس الدولية . وكان هذا الفندق مركزها

الرئيسى . كنت تجد فيه فرنسيين وإيطاليين وروسين واتراك ورومانيين ويونانيين ومصريين . نفر منهم هربوا من اوطانهم بسبب الحرب ، ولكن نفرا آخر منهم جواسيس بغير شك . فكان هناك مثلا بلغارى يعمل تحت رئاسة اشندن . ولكنه على سبيل الاحتياط لم يكلمه فى جنيف مرة واحدة . وهاهو ذا يتناول العشاء مع اثنين من مواطنيه ، وهناك مومس المانية صغيرة السن ذات عيني زرقاوين ووجه مثل وجه الدمية ، وهى دائمة التنقّل على طول شاطئ البحر بين جنيف وبرن . ومهنتها تتيح لها الحصول على نتف من المعلومات لاشك أن رئاسة المخابرات الالمانية تعيرها اهمية كبرى . وهذه المومس تنتمى طبعا الى طبقة تختلف كثيرا عن طبقة البارونة ومجال نشاطها لا تستطيع ان تنشط فيه البارونة

ولاحظ اشندن ايضا وجود الكونت فون هولزمندن ، وهو رئيس الجاسوسية الالمانية فى مدينة فيفى . وينتمى الى اسرة تصاهر العائلة القيصرية . وكان يوما ما يعيش فى لندن وهناك عرفه اشندن . ولما نسبت الحرب صار كل منهما يتجاهل الآخر . ولم يسبق للكونت أن وطئت قدمه هذا الفندق ، كما أنه ليس من المعقول أن حضوره الليلة كان اعتباطا

وتساءل اشندن هل لوجود الكونت الليلة علاقة بظهور الامير « على » فى قاعة المائدة على غير المألوف . والامير « على » مصرى من اقرب اقارب الخديو الذى عزله الانجليز عن عرش مصر لميسوله التركية . وقبل اسبوع حضر الخديو تحت سستار من السرية الشديدة ، فامضى ثلاثة ايام فى الفندق مع الامير على فى جناحه الخاص للتشاور فى اثناء المتاعب لبريطانيا على ضفاف النيل . والامير على يقيم فى الفندق بصفة دائمة مع ابنته ومدير اعماله مصطفى باشا . ومن عادة الامير أن يتناول طعامه فى جناحه الخاص بمفرده . اما كريماته فمن النوع المنحدر جدا ، وتمتشان مع السكرتير ومربيتهما الانجليزية العجوز الانسة كنج فى قاعة المائدة ، ثم تخرجان للسهر الى الصباح فى المراقص الليلية . ولكن الامير الليلة خالف عادته وجلس يتمشى فى القاعة الكبرى

والانسة كنج انجليزية كانت مربية للامير على من قبل . وقد

حاول اشندن في مبدا اقامته أن يحييها باعتبارها مواطنة ، ويعتمد صلة ودية معها تنعّمه في عمله ، ولكنها أظهرت برودا أوقفه عند حده ، حتى أنها قالت له بالفرنسية - لانها ترفض التحدث بالانجليزية ! .

- لا أريد أن اتعرف الى غرباء !

وأصبحت هذه المعجوز توليه طهرها كلما التقت به وجها لوجه . وكان من المفروغ منه أنها تلبس شعرا مستعارا بنى اللون ، وفي أحيان كثيرة كانت لا تحسن تمييزه فوق وجهها المغطى بالتجاعيد . بيد أنها كانت تصر على وضع بقعتين حمراوين فوق وجنتيها ، وصبغ شفتيها بصباغ أحمر صارخ . أما ملابسها فذات ألوان فاقعة ، وقبعتها مما ترنديه العبات الصغيرات . ولكن حذاءها له دائما كعب مرتفع جدا . فلا عجب أن كان الناس يبلغنون في السارع ليحملقوا فيها بأبواب مفتوحة

وعلم اشندن أن الآنسة كنج لم تزر إنجلترا منذ التحقت بخدمة والدة الأمير على . فملكه الفضول لمعرفة ما عسى أن تكون هاتان المينان قد ابصرناه في اقبية الحريم في غضون نصف قرن ، فمما لاشك فيه أنها أدركت عهد اسماعيل ، وما كان في أيامه من دولة طائلة لعانيات الحريم !

وعلم اشندن أيضا أنه لم تعد لها في وطنها إنجلترا أسره أو أصدقاء، وأن عواطفها معادية لانجلترا . وأن خشونتها معه ترجع ولاشك الى أوامر مشددة من مخدموها أن تكون منه بالذات على حذر . فأخذ يتساءل ما الذي يدور في رأسها وهي جالسة تنظّر بعينها الى كريمى الأمير على المتحررتين وهما تسهران كل ليلة وحدهما في الملاهى السيئة السمعة حتى الصباح



وبعد قليل انتهت البارونة فون هيجنز من تناول عشاها فجعلت منديلها وحقيبة بدها وتهادت خارجة والخدم يتحنون لها على الجانبين . حتى إذا بلغت مائدة اشندن تمهلت وقالت له بالانجليزية المتقنة التى تكاد تخلو تملما من الالكنة الألمانية :

- انى لسعيدة انك ستتمكن الليلة من لعب البريدج . فهل لك

ان تأتى الى حجرة جارىسى لتتناول قهوتك ؟

— ما أبعد هذا الثوب !

— انه فظيع ! فلا أدري الآن ماذا افعل وقد امتنع على الذهب الى باريس لشراء ثيابى . ولا أدري لماذا جر هؤلاء البروسيون وطنى المسكين الى هذه الحرب الفظيعة ...

ورسقته بانتسامة خلافة تم استأنفت تهديدها . ولم يفرغ أشندن من تناول عشاءه الا بعد مدة ، وعندما نهض للانصراف كانت قلعة المائدة قد أمست خالية تقريبا . وصعد الى الطابق الثانى وطرق باب البارونة ، ففتحت له على الفور واستقبلته مبسوطة اليدين فى مودة سائفة وجذبته الى الداخل . فاذا بالشخصين اللذين سيلعبان معهما هذه اللعبة الرباعية موجودان ، وهما الامير على وسكرتيره مصطفى باشا . ودهش أشندن دهشة شديدة . ثم قامت البارونة بالتقديم فى فرنسيها الطلقة . وأبدى مصطفى باشا حفاوة وذلانة لسان . اما الامير فكان خجولا قليل الكلام

ومصطفى باشا رجل ضخم الجسم بدين فى نحو الخامسة والاربعين ، له عينان واسعتان كثيرتا الحركة وشارب كبير أسود . يحلى رباط عنقه بعناسة كبيرة ، ويزين راسه بطربوش أحمر

وأخذت البارونة تطرى ادب أشندن ومؤهلاته وقدرته فى لعب الريدج . ولكن أشندن لم يقتصر بهذا الاطراء ، لانه كان يعلم حدود تلك القدرة الحقيقية . انه لاعب جيد بين لاعى الدرجة الثانية . وقد لعب امام أحسن لاعى العالم وأدرك انه ليس من مستواهم . وظل حائرا فى السبب الذى دعا البارونة للجمع بينه وبين هذين المصريين المنفيين فى هذه الليلة . وغلب على ظنه أن البارونة هى التى حرضت عليه رجال الشرطة السويسرية . ولذلك وجهت اليه الدعوة بعد أن فشلت خططها فى القبض عليه لتنفى عن ذهنه الشك فيها

وكان معظم الحديث أثناء اللعب عن جمال باريس وذكريات الامير فيها وعن مسكنه الفخم ، وما يضعه فى العاصمة الفرنسية من افخم الرياض وأتمن التحف الفنية . وأظهر أشندن عطفه وإعجابه بالحركة القومية فى مصر وأنه يرى « فينا » أجمل عواصم اوروبا . فكان يرد على المجاملات بمجاملات مثلها ، وهو حريص على ألا يظفروا منه

بمعلومات تتجاوز ما يمكنهم معرفته مما ينشر في الصحف السويسرية .
وخيل إليه أن هناك عملية جس نبض لمعرفة مدى استعداده لبيع
مواهبه لمعسكر آخر . وكان جس النبض بطريقة لبقة للغاية
وما أن دقت الساعة منتصف الليل حتى نهض الأمير واقفا ،
وقال :

— لقد تأخر الوقت . ولاشك أن مستر أشندن لديه عمل كثير
في الغد فلا يجمل بنا أن نبقه ساهرا

وفطن أشندن إلى أن هذه إشارة له بالانصراف . فنهض مستأذنا
وترك الثلاثة يتداولون في الموقف وهو واثق أنهم لم يظفروا منه بظائل
وما أن دخل باب حجرته حتى شعر بتعب شديد ووجد مشقة في
فتح عينيه وهو يخلع ثيابه . وما أن رقد في فراشه حتى استغرق
في النوم

وخيل إليه أنه لم يمت أكثر من خمس دقائق عندما أيقظه طرق
متوال على الباب . واصفى برهة ثم هتف :
— من هناك ؟

— الوصيصة . افتح . عندي ما أقوله لك
فنهض أشندن وهو يلوك اللعنات وأوقد المصباح ثم سوى شعره
بأصابعه وفتح الباب . فرأى الوصيصة السويسرية وقد بدا من
ملابسها أنها أرادت في عجلة شديدة ، ووجهها مكفهف

— السيدة الانجليزية العجوز مربية الأميرتين المصريتين في النزاع
الآخر ، وهي تلح في حضورك

— أنا ؟ مستحيل . أنا لا أعرفها . وهي كانت على ما يرام هذا
المساء

— ولكننا تلح في طلبك . هذا ما قاله الطبيب . فارجو أن تسرع
بالحضور لأنها في الرمق الأخير

— لا بد أن هناك خطأ . فهي لا يمكن أن تطلبني

— لقد ذكرت أسمك ورقم حجرتك . فأرجوك أن تسرع

فهر أشندن كتفيه ولبس خفا ومعطفا ، ودس في جيبه مسدسا
صغيرا لا لأنه يجد لاستعماله نفعاً ، فهو يكره الأسلحة النارية ، بل
لا يبعنه حمله في نفسه من طمأنينة في مثل هذا الظرف الغامض

وحجرة الأنسة كنج ترتفع فوق حجرة أشندن بطابقين . وفي الطريق دهش أشندن عندما عرف أن السابعة بلغت الثالثة . وعندما طرقت الوصيغة الباب فتحه مسيو بردييه نائب مدير الفندق . وكان يلبس في رجله خفا وفوق ييجامته سترة بذلة السهرة السوداء . فكان منظره مضحكا ، ولا سيما أن شعره المصفف في العادة بعناية كان غاية في الفوضى والتشعث . وأخذ الرجل يفرط في الاعتذار الى أشندن لأزعاجه قائلا :

— الف معلرة . ولكنها ظلت تلح في طلبك . وقال الدكتور «أربو» أنه لابد من إيقافك
— لا بأس

ودخل أشندن فاذا حجرة خلفية صغيرة جميع مصابيحها مضاءة، ونوافذها مقفلة ، وجميع ستائرهما مسدلة . فكانت الحرارة شديدة . والطبيب السويسرى الملتحي الأشيب واقف بجوار الفراش . ورغم الإرهاق الشديد كان يبدل عنايته كلها . وقام بردييه بالتعريف :
— هذا هو مستر أشندن الذى طلبته الأنسة كنج . الدكتور أربو من كلية الطب بجامعة جنيف

ومن غير أن ينطق الطبيب بكلمة واحدة أشار الى الفراش . وكانت نظرة واحدة كافية لاصابة أشندن بصدمة . فالشعر المستعار موضوع بجوار الفراش على كرسى . ورأسها مغطى بطاقيّة بيضاء من القطن وقميص نومها يرجع طرازه الى القرن الماضى . ووجهها مغطى بالكرام الذى استعملته لازالة المساحيق عن وجهها . وقد بدت ضئيلة الحجم جدا وهى راقدة فى فراشها كأنها طفلة . وزاد مظهر تقدمها فى السن . فلا بد أنها تجاوزت الثمانين حتى صارت اقرب الى الدمية منها الى البشر . دمية ساحرة عجوز تفنن فى صنعها فنان ساخر . وكان الناظر اليها خليقا أن يظنها ميتة لولا هاتان العينان السوداوان ونظرتهمما الثابتة

وخيل الى أشندن أن تعبير نظرتها تغير حين رآته ، فقال بمرح مصطنع :

— يؤسفنى جدا يا آنسة كنج أن أراك بهذه الحالة
فقال الطبيب :

— ان الانسة كنج لا تستطيع الكلام . لانها اصابت بنوبة اخرى
عندما كانت الوصيغة توظك . وقد حقنتها وربما استعادت القدرة
على استخدام لسانها بعد برهة . فعندها مات قوله لك
— سانتظر بكل ارتياح

وخيل اليه انه لمح في هاتين العينين السوداوين نظرة سكر على
هذه الكلمة . وساد بعدها الصمت بين الاربعة المحيطين بفراش
العجوز المحتضرة

واخيرا قطع بريديه الصمت قائلا :

— اذا لم يكن هناك ما أستطيع ان اصنعه هنا فمن المستحسن ان
أعود الى فراشي . اليس كذلك ؟

فقال له الطبيب :

— اذهب انت يا صديقي . فليس بيدك ان تصنع شيئا

فالتفت مسيو بريديه الى أشندن قائلا :

— هل تسمح لي بكلمة على انفراد ؟

— بالتأكيد

ولمح الطبيب نظرة فزع مفاجئة في عيني الانسة كنج فقال برفق :

— لا تفزعى . السيد أشندن ليس منصرفا . سيبقى ما شئت أنت

ان يبقى

وانتحي مساعد المدير العام للفندق بأشندن ناحية خارج الباب ،

وقال :

— هل أستطيع ان اعتمد ياسيد أشندن على كتمانك ؟ من المزعج

جدا ان يموت أحد في فندق . فالتزلاء الآخرون يستاءون من ذلك

ويجب ان نبذل كل ما في وسعنا حتى لا يعلموا شيئا . وسأعمل على

نقل الجثة في أول فرصة . وسأكون شاكرا لك غاية الشكر اذا

لم تذكر أمام أحد أنه حدثت في الفندق حالة وفاة

— تستطيع ان تثق بذلك كل الثقة

— لسوء الحظ ان المدير العام متغييب هذه الليلة . وأخشى أنه

سيستخط جدا عندما يعلم . وطبعا كان في نيتي ان استدعى نقالة

تحملها الى إحدى المستشفيات ، ولكن الطبيب أكد لي انها مستموت

لو حركناها . ورفض رفضا باتا أن يسمح لي بنقلها . فليس ذنبى أن

تموت في الفندق !

- قلما يراعى الموت مقتضى الحال

- انها امرأة عجوز وكان يجب أن تموت منذ سنوات طويلة . او على الأقل كان يجب على هذا الامير المصرى أن يعيدها الى وطنها فما حاجته الى مربية طاعنة في السن بهذه الصورة ؟
- واين الامير الآن ؟ لقد ظلت في خدمته سنوات طويلة . ألم يكن ينبغي أن توقظوه ؟

- انه ليس في الفندق . خرج مع سكرتيره ولمله يلعب الآن البكاراه . وعلى كل حال لا يسعنى الا أن أرسل من يبحثون عنه في أرجاء جنيف
- والاميرتان ؟

- لم تعودا من السهرة بعد . فهما مجنوتتان بالرقص كل ليلة حتى الصباح . ولا أدري في أى ناد ليلي هما الآن . ولا أظنهما على كل حال ستشكرانى كثيرا اذا أنا ارسلت فى طلبهما الآن بسببها . وعند عودتهما سيخبرهما عامل الاستقبال بما حدث لمريبتهما . وهى على كل حال لاتريدهما ، لاننى عندما أيقظونى ودخلت عليها الحجرة سألتها هل تريد الامير أو الاميرتين فقالت بحة لا ، لا !
- هل كانت تستطيع الكلام عندئذ ؟

- بصموبة . ولكن الامر الذى أدهشنى أنها كانت تتكلم باللفة الانجليزية . مع أنها لم تستخدم الا الفرنسية . وكانت تكره كل ما هو انجليزى
- ولماذا طلبت حضورى ؟

- هذا ما لا أعرفه . قالت ان لديها ما يجب أن تقوله لك فى الحال . وكانت تعرف رقم حجرتك ، وعارضت فى مبدأ الامر . فمن حقا أن تنام مستريحا فى حجرتك التى تدفع أجرتها . ولكن الطبيب ألح فى وجوب ايقاظك . وكانت هى أكثر الحاحا حتى أنها عندما طلبت منها ان تنتظر الى الصباح انفجرت باكية

وحجج أشنندن المسيو بريديه بنظرة فاحصة ، فإذا ذلك الرجل السويسرى لا يجد فى الامر أى باعث على التأثير ...

- سأنتظر أنا الى أن ينجلى الموقف

— وانا ساذهب الى فراشى شاكرا لك تعاونك ووعدك بالكتمان
وعاد اشنندن الى غرفة المحاضرة ، فحولت على الفور نظراتها اليه .
شعر بتأثر شديد ، وان من واجبه ان يقول لها كلمة ملطقة
ولكنه لم يدر ماذا يقول . وأخذ الطبيب يشرح له كيف أصيبت بدلك
الغالج فجأة . وبعد قليل قال لاشندن :

— انها قد تبقى على هذا الوضع ساعات . وليس امامى ما اصنعه
لها فلا فائدة من بقائى وامامى غدا يوم حافل بعيادة المرضى .
ويمكنك ايقاظى بالتليفون اذا حدث اى تغيير فى حالتها
ثم ربت على خدها المتغضن كأنها طفلة ، وقال لها :
— اجتهدى ان تنامى . وسأعود لزيارتك فى الصباح
وبعد ان ودع اشنندن الطبيب الى الباب قال للوصيفة :

— وانت ايضا عندك عمل مرهق غدا . ماذا يبقيك ؟ اذهبى الى
فراشك وحاولى ان تنامى

ونفضت الوصيفة فانصرفت وبقي اشنندن وحده بجوار فراش
المحاضرة . نى ظهر فى عينيها السوداوين مجهود يائس للكلام .
ثم انهمرت الدموع من عينيها فاخرج اشنندن منديله ، وجففهما ،
وهو يقول لها :

— لاتزعجى نفسك . لاتبتئسى يا آنسة كنج . اصبرى قليلا
وسوف تستطيعين قول كل ما تريدين

ولكن نظرة القلق لم تذهب من عينيها . وبدأت أعصابه تتمزق .
فاطفا المصاييح الا واحدا واشتدت رغبته فى تدخين سيجارة .
ولكنه وجد الموقف غير مناسب . وظل صامتا ينظر بين الحين والحين
نحوها ليجد عينيها مثبتيين فى وجهه . وهو لايدرى لماذا بعثت اليه
هو بالذات ؟ هل احست بحنين مفاجيء ساعة الموت الى بلادها ؟
ان كان الامر كذلك فلماذا لم ترسل الا اليه وبين النزلاء انجليز
كثيرون ؟ انها تعلم انه جاسوس فلا بد ان ما تريد ان تقوله له علاقة
بهذه الصفة . انها معلومات يستطيع ان يستخدمها أو يجب ان
يعرفها قبل قوات الاوان

وبعد ساعة بدأت تضطرب . ولج حركة على شففتها ، فادنى
اذنه من فمها . وازداد الرعب اليائس فى نظرتها . ولم تستطع

أن تقول له الا كلمة واحدة بصوت أجش وهي تتوئب في جهد أخير
للقيام • فحمل رأسها بين يديه تلبية لهذه الرغبة • هذه الكلمة
الواحدة هي :

— انجلترا

ثم ثقل رأسها • ولما وسدما أدرك أنها فارقت الحياة



الفصل الرابع

المكسيكى الاُمرء

قال الكولونيل لاشندن :

— هل تحب المكرونة ؟

فأجابه اشندن متمجبا :

— ماذا معنى بالمكرونة ؟ انك حين تسألنى هذا السؤال كأنك تسألنى هل تحب الشعر . فانا احب كيتس واحب واردزورث واحب فيرلين واحب جيته . وانت حين تسال عن المكرونة هل معنى منها الاسبجتي ام التليساتلى ام الريبجاتونى ام الفرمتشلى ام التوفالى ؟

— اعنى المكرونة بسائر انواعها

— انا رجل يحب جميع الاشياء البسيطة فى الحياة . احب البيض المسلوقة ، والمحار ، والبطارخ ، وسمك السلمون المشوى ، والحمل المشوى ، وصدور الاوز المشوى ، والبودنج . ولكن احب الاشياء البسيطة جميعا الى ، بل الشئ الوحيد الذى استطيع ان آكله كل يوم لا يغير تقزز فحسب بل يشغف وتلهف هو المكرونة ! فقال الكولونيل عندئذ :

— يسرنى ان اسمع منك هذا الكلام لانى اريدك ان تذهب فى مهمة الى ايطاليا

وكان اشندن قد حضر من جنيف لمقابلة الكولونيل فى مدينة ليون . فوصل قطاره مبكرا قبل وصول الكولونيل فقضى فترة بعد الظهر يتجول فى ارجاء تلك المدينة المزدهمة الثقيلة الظل . وهما الآن جالسان فى مطعم كان اشندن هو الذى قاد الكولونيل اليه عند وصوله ، لانه مشهور بتقديم أفضل طعام فى تلك المنطقة

من فرنسا . وكان الطعم مزدحما ، لأن أهل ليون يحبون الطعام الجيد ، فلا تستطيع أن تضمن انصات الأذان لما يخرج من شفتيك . ولهذا اكتفى الاثنان بالخوض في موضوعات سطحية . وفي ختام الطعام قال الكولونيل :

— لك في كأس أخرى من البراندى ؟

— كلا وشكرا

فتناول الكولونيل الزجاجاة وصب لنفسه كأسا ولاشندن مثلها ، وهو يقول :

— يجب أن ينتهز الإنسان كل فرصة ممكنة للتخلل من قيود

الحرب

ووجد اشندن أن الاعتراض سيكون سخياف الوقع ، فتناول كأسه وأخذ يرشف منها في ببطء ، وطلب الكولونيل قائمة الحساب . ومع أنه شخصية هامة ، وله سلطة اعزاز أو اذلال عدد ضخم من أتباعه ، وآراؤه لها وزنها عند من ييدهم مصائر الامبراطوريات ، إلا أنه كان يشعر دائما بالحرج الواضح جدا كلما اقتضت الحال أن يعطى هبة للخدم . فهو يخشى أن يبدو مغفلا ، اذا أعطاهم أكثر مما ينبغي بكثير . ويخشى أن يثير ازدراءهم اذا أعطى أقل مما يجب . فعندما جاء الساقى بقائمة الحساب أعطى الكولونيل اشندن بضع مئات من الفرنكات قائلا :

— ادفع أنت الحساب . فانا لا افقه الارقام الفرنسية

ثم جاء الخادم بالقبعتين والمعطفين . وسأل اشندن :

— أتحب أن تعود الآن الى الفندق ؟

— من المستحسن ذلك

وكان الوقت في أوائل العام ولكن الجو كان دافئا فمشيا وكل منهما يحمل معطفه فوق ذراعه . وكان اشندن يعلم أن الكولونيل يفضل أن تكون له حجرة استقبال خاصة ملحقة بحجراته فراعى ذلك عندما حجز له مكانا في الفندق . وإلى تلك الحجرة توجه الاثنان بمجرد دخولهما الفندق المشيد على الطراز القديم . ولذا كانت حجراته واسعة والأثاث لقيلا مصنوعا من خشب الموزنجير . وكسوة المقاعد الضخمة من القטיפعة الخضراء ، واجدران مزينة

بمناظر من مواقع نابليون . ويتدلى من السقف شمعدان ضخيم كان يستخدم للإنارة بالغاز ثم ركب عليه مصابيح كهربائية واحتل اشندن مقعدين جلس على أحدهما وبسط قدميه فوق الآخر . فلما رآه الكولونيل على تلك الصورة قال :

— هذه فكرة لاباس بها

ثم جلب مقعدا آخر وضع فوقه قدميه وتنهَّد بارتياح وسأل :

— أى حجرة هذه التى تجاورنا من هذا الجانب ؟

— حجرة نومك

— ومن الجانب الآخر ؟

— بهو للمآدب

فنهض الكولونيل وجاب ارجاء الحجرة ونظر وراء الستائر الثقيلة ثم عاد الى مقعده ، ورفع قدميه فوق المقعد الآخر ، وقال :

— من الأفضل دائما ان يتخذ الانسان الحيلة

ثم نظر الى اشندن بامعان وقد لاحت على شفثيه الرفيعتين ابتسامة يسيرة ، بيد أن العينين الشاحبتين المتقاربتين احتفظتا بما فيهما من برودة فولاذية . ولا شك أن تحديق الكولونيل كان خليقا ان يضايق أشندن لولا أنه تعود ، فأدرك أن الكولونيل يفكر فى كيفية مغانحته فى الموضوع الذى يشغل ذهنه . ودام الصمت دقيقتين أو ثلاثا . ثم قال أخيرا :

— انى أنتظر قدوم شخص سيحضر لمقابلتى الليلة . وقطاره يصل فى الساعة العاشرة

ونظر فى ساعة معصمه ، ثم قال :

— وهو معروف باسم المكسيكى الأمريد

— لماذا ؟

— لأنه امرد ولأنه مكسيكى

— هذا تفسير مقنع للغاية

— وسيخبرك بنفسه عن كل ما يتصل به . لأنه ثرثار . وقد التقيت به وهو فى حالة افلاس تام . ويظهر أنه كان مشتركا فى إحدى الثورات بالمكسيك واضطر للفرار وليس عليه سوى ثوبه ، فر بجلده لأن ثوبه كان شيئا لا يستحق الذكر حين قابلته . وإذا

أردت ان تغفر برضا، فيجب ان تناديه دائما بلقب جنرال . وهو يزعم انه كان جنرالاً في جيش هورتا ، وأن الامور لو سارت على ما يرام لأصبح وزيراً للحرية هناك ، ولا أدري ماذا من عطايا الامور، وقد ألفيته نافعاً جداً لنا . ولا أكره فيه شيئاً سوى استخدامهِ للعطوف

— وما علاقتي أنا بموضوعه ؟

— انه مسافر الى ايطاليا . فقد كلفته هناك بمهمة شائكة . وأريد منك أن تكون بقربه . لأنني لست حريصاً على ائتمانه على مبلغ كبير من المال فهو مقامر وشديد الولع بالفتيات . وأظنك جئت من جنيف بجواز سفر باسم اشندن ؟

— أجل

— لقد أحضرت لك معي جواز سفر دبلوماسياً باسم سومرفيل وعليه تأشيرات دخول فرنسا وإيطاليا . وأظن من الأفضل أن تسافرا معا . وهو رقيق مسل ، واعتقد انكما يجب ان تتعارفا

— وما هي المهمة بالضبط ؟

— لم يستقر رأيي بعد على المدى الذي يستحسن أن تعرفه عن هذه المهمة

ولم يجب اشندن . وتبادلا نظرات جامدة خالية من الارتباط ، كأنهما غريبان يجلسان معا في عربة قطار وكل منهما يسأل نفسه عن الآخر ، أي صنف من الرجال عساه يكون ؟

وبعد برهة قال الكولونيل :

— لو كنت في موضعك لترك الجنرال يتحدث طول الوقت عن نفسه كما يشاء . فلن أخبره عنك أكثر من المعلومات الضرورية جداً . وسوف لا يتطفل عليك بأسئلة لأنه على نوع معين من التهذيب على طريقته الخاصة

— وما هو اسمه الحقيقي ؟

— أنا دائماً أناديه مانويل . ولا أظنه يستسيغ ذلك كثيراً . فاسمه مانويل كارمونا

— يخيل الى مما تحاشيت ذكره منه أنه وغد عريق فابتسم الكولونيل بعينه الشاحبتى الزرقة وقال :

— لا أظننى اذهب معك الى هذا الحد . والواقع انه لم يتعلم فى مدارس محترمة ومبادؤه فى الرياضة وفى التعامل ليست مثل مبادئ ومبادئك . فلا أستطيع ان اترك وأنا مطمئن علة سجنائى من الذهب وهو موجود بالقرب منها . ولكنه اذا خسر امامك تقودا فى البوكر ، وكان قد سرق علة سجنائك الذهبية فلن يتردد فى رهنها كى يؤدى لك دين الشرف . ولن يفلت اقل فرصة لاغواء زوجتك ، ولكنه اذا وجدك فى ضيق اقتسم معك اللقمة التى فى فمه . وتجرى دموعه ملهرا على خديه اذا سمع اغنية مثل « اتنا نضحك يا أم النور » . ولكنك اذا اهنت كرامته فلن يتردد فى قتلك غير آسف . ويظهر أنهم فى المكسيك يعتبرون مرور شخص بينك وبين شراك اهانة كبيرة . فقد أخبرنى مرة أن هولنديا لا يعرف ذلك التقليد مرينه وبين البار فاخرج مسدسه فى الحال وقتله بالرصاص !

— وم يعاقب ؟

— كلا . اذ يظهر انه ينتمى الى اسرة من اكبر الاسر هناك . فسويت المسألة ونشر فى الصحف ان الهولندى انتحر . وهذا هو الواقع تقريبا لان المكسيكى الامرد لا يقيم وزنا كبيرا للحياة البشرية فاجفل اشندن وأدرك ان رئيسه لم يقل له ذلك الكلام اعتباطا وسكت الكولونيل برهة ، ثم قال :

— وما أكثر الهراء الذى قيل عن قيمة الحياة البشرية فى الواقع . فالقائد فى المعركة لا يعتبر الرجال أكثر من أرقام . وليكون أبله اذا سمح لنفسه بالنظر اليهم نظرة عاطفية باعتبارهم بشرا

— ولكن البشر ليسوا مجرد أرقام !

— ليس هذا موضوعنا . المهم أننا تلقينا معلومات تفيد أن رجلا يسمى قسطنطين اندريادى قادما من استنبول ومعه وثائق معينة يريد الحصول عليها . وهو يونانى من أعوان أتور باشا . وذنور باشا فيه ثقة كبيرة . وقد حملته رسائل شغوية على درجة كبيرة من السرية والخطورة بحيث لا يمكن تسجيلها على الورق . والرجل أبهر من ميناء بيريه فى اليونان فوق سفينة اسمها عتافة وسينزل فى برندينزى لينتجه الى روما ، وسيسلم الوثائق فى السفارة الألمانية ،

وبلغ السفير رسائله السفوية

ـ فهمت

وقد كانت إيطاليا في ذلك الوقت لم ترل على الحياد . والجهة
المعادية تبدل كل جهدها كي تبقىها على الحياد . اما الحلفاء فكانوا
يبدلون كل مافي وسعهم كي ننضم اليهم

ـ ونحن لا نريد ان يحدث اى اضطراب بيننا وبين السلطات
الاطالية لان ذلك قد تكون له نتائج خطيرة جدا . ولكننا يجب ان
نمنع اندريادى من الوصول الى روما
ـ باى ثمن ؟

فاتت شفتا الكولونيل عن ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـ المال ليس عقبة على كل حال في سيلنا

ـ ماذا تقترح ان نفعل ؟

ـ لا اظنك بحاجة الى شغل ذهنك بهذا السؤال

ـ ولكن لى مخيلة خصبة

ـ اريد منك ان تذهب الى نابلى مع المكسيكى الامرد . وهو شديد
اللغة على العودة الى كوبا . فاصحابه فيما يظهر ينظمون هناك
حركة عسكرية وهو يريد ان يكون اقرب ما يمكن من المكسيك لينزل
ارضها في اللحظة المناسبة ، وهو بحاجة الى المال . وقد احضرت
مبلغا كبيرا من الدولارات الامريكية معى ، ساسلمه لك الليلة
لتحتفظ به في جيبك . وهى مجموعة من ذات الالف دولار تسلمها
للمكسيكى الامرد في مقابل الوثائق التى يحملها اندريادى

ـ وهل يدري ذلك المكسيكى ما هو مطلوب منه بالضبط ؟

ـ بالضبط

وفي هذه اللحظة سمع طرق على الباب تم فتح ووقف امامها
المكسيكى الامرد :

ـ ها قد حضرت . طاب مساؤك يا كولونيل يسعدني ان اراك

فنهض الكولونيل وقال :

ـ هل كانت رحلتك لطيفة يا مانويل ؟ هذا هو مستر سمرقيل
الذى سيصحبك في السفر الى نابلى . . . الجنرال كارمونا .

وشد على يد اشندن بغوة حتى كاد بصرخ ؛

— لك يدان من فولاذ يا جنرال
تنظر المكسيكي الى يديه ، ثم قال :
— لقد طليت اظافرى اليوم ولكن الغلاء لا يعجبني
وكانت الاظافر مقعوصية جيّدا ومطلية باللون الاحمر وتلمع
كالمرآيا

ومع ان الجر لم يكن باردا فقد كان الجنرال يرتدى معطفا من
الفراء الاستراخان الفاخر . وكلما تحرك حركة بسيرة هبت موجة
من العطر فملأت انفك . وقال الكولونيل له :
— اخلع معطفك يا جنرال واشعل سيجارا

وكان المكسيكي الامرد رجلا طويل القامة اميل للنحول ، الا انك
تحس بما له من قوة بدنية خارقة . وبدلته الانيقة زرقاء اللون
يتدلى من صدرها منديل حريري أنيق ، وفي معصمه سوار ذهبي .
وملامحه اكبر من المعتاد وعيناه عسليتان لامعتان . ولكنه امرد
تماما . وجلده الاصفر ناعم كبشرة المرأة . وليست له حواجب ولا
وموش . وفوق راسه شعر مستعار طويل له خصلات على طريقه
الفنانين . فكان منظره المتناقض مفرعا مضحكا سخيفا . ولكنه
يستلقت نظرك ويستويك بغرابة منظره واناقة

وجلس الجنرال بعد أن رفع سرواله حتى لا يتكسر ولا ينبعج
عند الركبتين . ثم قال له الكولونيل في مزاح ساخر :

— خبرني يا مانويل : هل حطعت كثيرا من القلوب اليوم ؟
فالتفت الجنرال نحو اشدنن وقال :

— ان صديقنا الفاضل الكولونيل بحسبني على نجاحي المستمر
الجنس اللطيف . وانا اقول له دائما أنه يستطيع أن يحظى بمثل
نجاحي لو انه استمع لنصائحي . فالتقة هي الشيء الوحيد الذي
تحتاج اليه مع النساء . ومادمت لا تخاف الصد فتق انك لن
تجد الصد .

فقال الكولونيل :

— هراء يا مانويل . فلا بد أن تكون للمرء أساليبه الخاصة مع
الفتيات . فهناك شيء في شخصك لا تستطيعين مقاومته
فصّصك المكسيكي الامرد راضيا عن نفسه بغير مواربة . وهو

بكلم الانجليزية باحاده تامه ، ولكن بكلمة اسبالية . وقال :

— اما وقد سألني يا كولونيل عن عدد القلوب التي حطمتها
اليوم فلا أبالي ان أخبرك اني سجاذبت حدسا طويلا في القطار مع
امرأة شسلة الحجم . كانت قادمة لزيارة حماتها في ليون . ولم
تكن صغيرة السن جدا . وجسمها انحف مما يروق لي في النساء .
ولكنها كانت معبولة . وقد اعادت على ارجاء ساعين من الزمن
باسلوب لطيف

فقال الكولونيل مغفرا موضوع الحديث :

— والان لنشرع في العمل

— انا في خدمتك يا كولونيل . وهل المستر سومرفيل رجل
عسكري ؟

— كلا . انه مؤلف

— الدنيا تسع لنتي صنوف الخلق . وانا سعيد بمعرفتك يا
مستر سومرفيل واستطيع ان اقص عليك حكايات كثيرة تثير
اهتمامك . وانا واثق اننا سننتألف . فلك ظل خفيف . وانا شديد
الحساسية لخعة الظل . والحق اقول لك انني عبارة عن حرمة من
الامصاب . فاذا جمعتني الظروف بشخص منفر تعيل الظل انفلت
زمام اعصابي !

— أمل ان نحظى برحلة لطيفة

وعندئذ التفت المكسيكي الى الكولونيل وقال :

— متى يصل صاحبنا الى برنديزي ؟

— موعد ابجاره من بيريه على السفينة عتافة في اليوم الرابع
عشر من الشهر . وبسنحسن ان نكون في برنديزي لانتظارها

— انا متفق معك في هذا

وقام الكولونيل فجلس على حرف المنضدة ويداه في جيبه .
فبدأ في سرته العسكرية المشبعة العتيقة على تقيض صاحبنا
المكسيكي في اناقته المفرطة . وبدأ يلقي تعليماته :

— مستر سومرفيل لا يعرف شيئا تقريبا عن المهمة التي عهدنا
بها اليك . ولا احب ان تخبره بأي شيء . وافضل ان تسترشد
بارائك الخاصة وفراستك . ولديه تعليمات ان يسلمك الاموال

الى محتاج اليها في عملك . ولكن العمل نفسه من شأنك وحدك .
 وإذا احتجت عند الضرورة القسوى لاستشارته ، فلا بأس

— قلما أسأل أحدا النصيح . ولا آخذ أبدا بنصح أحد

— وإذا اضطربت الأمور فانا واثق أنك سنبقى مستر سومرفيل
 بعيدا عن الموضوع كلية . فيجب بأى شكل ألا يزوج به في مازق

فقال المكسيكى الأمرد بابل وشمع :

— أنا رجل شريف ياكولونيل . وخير لى أن يمزقونى أربا من أن

أشى بأصدقائى

— وهذا ما قلته لمستر سومرفيل عنك . وقد أصدرت إليه

التعليمات أيضا في حالة نجاحك في مهمتك نجاحا كاملا أن يسلمك

البلغ المفق عليه في مقابل الأوراق التى حدثتك عنها . أما الوسيلة

التى ستحصل بها على تلك الأوراق فليست من شأنه

— هذا أمر مفروغ منه . ولكن هناك موضوعا واحدا أحب أن

أجلوه تماما . فانا حريص أن يفهم مستر سومرفيل أننى لم أقبل

هذه المهمة التى عهدتم بها لى من أجل المال

فقال الكولونيل بجدة تام :

— هو يفهم هذا تمام الفهم

— أنا مع الحلفاء روحا وجسما . لانى لا أستطيع أن اغتفر للامان

خرقهم لحياذ البلجيك . وإذا قبلت المال الذى عرضتتموه على

فذلك لأننى وطنى مخلص قبل كل شيء . هل أستطيع أن اثق في

كتمان مستر سومرفيل ؟

فأوما الكولونيل براسه وعندئذ التفت المكسيكى الى أشندن :

— هناك حملة تجهز لتحرير وطنى المنكود من أيدى الطغاة الذين

يستغلونه ويخربونه . وكل بنس اقتاضاه سينفق في شراء السلاح

الذخيرة . أما أنا شخصا فلا حاجة لى الى المال . فانا جنسى

وأستطيع أن أعيش على لقمة جافة وحفنة من الزيتون . وليست

لنى في الحياة إلا ثلاثة مشاغل تليق بالسيد المهذب : الحرب ولعب

الورق والنساء . ولا يتكلف الانسان شيئا كى يعمل بندقية على

كتفه ويلوذ بالجيال . فالحرب عندنا حرب عصابات حقيقية لا مثل

حربكم بالفرق والمدافع . وأما النساء فيحببني لشخصى بغير نظر

الى المال . اما لعب الورق فانا اربح فيه في معظم الاحيان
وتشعر اشندن باستلطاف شديد لهذا المخلوق المتعجرف المزخرف
المعطر الذي يتشدد بالتعسف . اجل هو مضحك في سخافته تفكيره
ولكنه لا يوحى اليك انه رحل بسنهان به . ففقه بنفسه لا تخلو من
مهانه وفحامة

— واين حقيقتك يا مانويل ؟

— تركها في المحطة

— مسنر سومرفيل يحمل جواز سفر دبلوماسيا . ففى استطلاعنه
ان يضم حقيبتك الى حقيبته عند الحدود حتى لا تخضع للتفتيش
— ليس في حقيبى الا اشياء قليلة جدا . عدد من البدل وملابس
داخليه وقمصان . ولكن قد يكون من المستحسن ان يتفضل مسنر
سومرفيل بالاهتمام بحقيبتى . فقد اشترت استى عنزة بيجامة
حريرية من باريس واخشى ان يتفاضوا عليها رسوما
ونظر الكولونيل الى اشندن ، وسأله قائلا :

— وماذا عنك انت ؟

— عندى حقيبة واحدة في حجرتى

— يحسن ان نرسلها الى المحطة لان قطاركما يقوم في الواحدة
وعشر دقائق بعد منتصف الليل

وكانت هذه اول مرة يسمع فيها اشندن انه سيسافر هذه
الليلة . ولكنه لم يزد على أن قال :

— وهو كذلك

ونفض الكولونيل واقفا وهو يقول :

— سأوى الى فراشى . ولا ادرى ماذا تريدان أن تصنعا في المدة
اليافئة

فقال المكسيكى الامرء :

— سأتمشى في ليون . فانا احب الناس . اقرضنى مائة فرنك
يا كولونيل من فصلك فليست معى « فكة »

فاخرج الكولونيل حافظة نقوده وأعطى الجنرال المبلغ الذى طلبه
ثم التفت الى اشندن ، وسأله :

— وانت ماذا سصنع ؟ هل يستنظر هنا ؟

— كلا . سأذهب الى المحطة وأجلس في الاستراحة للقراءة
— يستحسن ان تشربا كأسا من الويسكى بالصودا قبل انصرفكما
ما رايتك في ذلك يا ماتويل ؟
— هذا كرم منك يا كولونيل . ولكنى لا اشرب الا الشمبانيا
والبراندى

فأمر الكولونيل باحضار البراندى والصودا . وصب كل من
أشندن والكولونيل لنفسه كأسا . اما المكسيكى الامرد فعلا كوب ماء
من ذلك البراندى الفاخر وشربه صرفا في جرعتين ! ثم نهض واقفا
ولبس معطفه المصنوع من الفراء . ثم تناول قبعته السوداء بيسراه
ومد يمينه الى الكولونيل قائلا :

— اتمنى لك يا كولونيل ليلة طيبة واحلاما سعيدة . ولست
اتوقع ان نلتقى في وقت قريب

— لا تفسد الامور يا ماتويل . وان افسدتها اطبق فمك

— قيل لى انه في احدى كلياتكم التى يتدرب فيها ابناء الاشراف
على ان يكونوا ضباطا في البحرية توجد حكمة مكتوبة بحروف من
ذهب وهى : « لا وجود لكلمة المستحيل في البحرية البريطانية » .
وانا ايضا يا كولونيل لا اعرف معنى كلمة الفشل
— هذه كلمة لها مترادفات كثيرة على كل حال

فأعرض الجنرال عنه وقال لأشندن وهو منصرف :

— سألتقى بك في المحطة بامستر سومر فيل

وبعد انصرافه نظر الكولونيل الى أشندن وهو يبتسم ابتسامته
المعهودة التى تنبئ عن دهاء شديد وساله :

— والان ما رايتك فيه ؟

— انه مفرور كالطاووس . فهل حقا يلقى نجاحا مع النساء بمنظره
هذا المرعب ؟ وما الذى يجعلك تثق به ؟

فضح الكولونيل وجعل يفرك راحتي يديه في حركة اغتسال
وهيئة :

— فلننتك ستعجب . فهو شخصية طريقة . اليس كذلك ؟ واظن
انه في وسعنا ان نثق به . سأعطيك الآن تذكرتى السفر والتعود كى
تنصرف لانى اريد ان انام

وبعد عشر دقائق كان اسندن في طريقه الى المحطة وحقيبته الوحيدة فوق كتف حمال . وكان باقي امامه اكثر من ساعتين ، فجلس في معمد ونثر بحجرة الانتظار ، والاصاء بها جبهة وشرع بطالع رواية . ولما امترب موعد وصول القطار من باريس كي يقلعها مباشرة الى روما ولم يظهر للمكسيكي الامرد اثر بدا اسندن بشعره بالقلق وخرج الى افريز المحطة لبحث عنه

واعطت الاسارة بقرب قدوم قطار روما السريع ولا امر للمكسيكي الامرد ايضا ، ووصل القطار الى المحطة ولم يصل المكسيكي فاسولى الفزع على اسندن . فآخسد يروح ويجيء وهو ينلفت كالجبون على غير طائل

ولم تكن في القطار عربات نوم . فاحتل مقعدين في الدرجة الاولى ثم وقف في البافدة بجبل نظره في الناس ثم ينظر الى ساعة المحطة . ولما كان السفر من غير رفيقه لا فائدة منه فقد قرر اسندن أن يفادر القطار بحقيقته بمجرد صدور الاسارة للقطار بالحرك

وبقيت ثلاث دقائق . ثم دقيقتان . ثم دقيقة . وأصبح افريز المحطة خاليا تقريبا . واذا به يرى المكسيكي الامرد قادما يتبعه حمالان معهما حقائبه . وفي صحبته رجل بدين . وهو يسمى متبخترا . ولمح اسندن فلوح له يده ، ثم قال بصفاقه :

— اهذا انت ابها العزيز ؟ لقد كنت اتساءل ماذا حدث لك ؟

— يا الهى ! اسرع يا رجل والا فاتك القطار !

— اطمئن . فانا لا يفوتنى القطار ابدا . هل حصلت على مقعدين طبيين ؟ ان ناظر المحطة في الراحة ، وهذا نائبه

ورفع الرجل البدين قبعته تحية لاسندن . ثم اسطرد المكسيكي : — ولكن هذه عربة عادية . واخنى انى لا استطيع ان اسافر فيها . ولاتك انك تستطيع ان تدبر لى شيئا خيرا من هذا ابها العزيز

فاسرع نائب الناظر البدين بالانحناء ، قائلا :

— بالطبع ناسيدى الجنرال . سأدبر لك صالونا خاصا

واخذهما الرجل الى صالون خاص يصلح مقعدا الكيران سريرين . وأبدى المكسيكي ارتياحه وسمح للحمالين بترتيب حقائبه

ثم مد يده فصافح نائب الناظر ، وهو يقول له :
- لن اتسلك . وفي اول فرصة ارى فيها الوزير سأحدثه عن
اهتمامك براحتى

- هذا كرم منك يا جنرال . وسأكون مدينًا لك بالشكر
ونفخ الرجل في صفارته فقام القطار . وعندئذ انفجر أشندن :
- لماذا أخرت حتى الثانية الأخيرة ؟ ماذا يكون من أمرنا لو أننا
لم ندرك هذا القطار ؟

- يا صاح ! لم يكن هناك أقل احتمال لعوات القطار . فعند
وصولى من باريس هذا المساء قلت لناظر المحطة أنتى الجنرال
كارمونا القائد العام للقوات المكسيكية المسلحة . وأنتى سأقضى هنا
في ليون بضع ساعات أعقد فيها مؤتمرًا مع مارشال أنجليزى .
وطلبت منه أن يحجز لى القطار إذا تأخرت بضع دقائق . ولحقت
الى أن حكومتى قد تفكر فى الانعام عليه بوسام . ولما كنت قد
مرت بليون من قبل وأعجبتنى فتياها وأن كن لسن كفتيات
باريس ، فقد أحببت أن أستمع بهن الى آخر دقيقة . والآن هل
لك فى جرعة من البراندى قبل أن تنام ؟
- كلا وأشكرك

- كما تحب . أنا دائماً أشرب كوبًا من البراندى قبل النوم كي
يهدىء أعصابى ، فأنا حزمة من الأعصاب كما قلت لك

وفتح احدى الحقائب وأخرج منها زجاجة رفعها الى فمه
وشرب منها جرعة كبيرة ثم مسح شفثيه بظهر يده وأشعل سيجارة
وخلع حذاءه وورقه ، فأطفأ أشندن المصباح الكبير وترك نورًا خافتًا .
وساد الصمت لحظة ، ثم قال المكسيكى الامرء :

- لم يستقر رأيى حتى الآن أيهما أمتع لى : أن أنام وعلى فمى
قبسات امرأة حسناء أم سيجارة ؟ هل ذهبت الى المكسيك ؟
سأحدثك عن المكسيك غدا . طابت ليلتك

وسرعان ما سمع أشندن تنفسه الثقيل المنظم فأدرك أنه نام .
وبعد قليل أغفى أشندن . وبعد قليل استيقظ على وقوف القطار
وقوفا مفاجئًا ، وفى لمح البصر كان المكسيكى واقفاً ومسدسه فى يده ،
وهو يصيح :

— ما هذا ؟

— لا شيء . ربما كانت إشارة بأن الطريق مسغول

فهاوى المكسيكى على فراشه واضاء أشندن النور ، وقال :

— أنك تستيقظ بسرعة رغم نومك العميق

— لابد من هذا فى مهنتى

وكان على لسان أشندن أن يسأله عن هذه المهنة اهى القتل ام التآمر ام قيادة الجيوش . ولكنه آثر السلامة . وفتح الجنرال حقيبته وأخرج الزجاجاة . وبعد أن عزم على أشندن بجرعة ورفضها ، رفع الزجاجاة الى فمه وصب منها فى حلقه كمية كبيرة من البراندى ثم أشعل سيجارة وهو يتنهد . ودهنس أشندن لانه على الرغم من كميات السراب الضخمة كان يبدو مفيغا تماما ، لا يبدو عليه انه شرب طول الليل سوى عصر الليمون !

وبعد قيام القطار نام أشندن . وعندما استيقظ فى الصباح وتقلب فى فراشه وجد المكسيكى مستيقظا يدخن سيجارة . والارض تحت قدميه مفروشة بأعقاب السجائر وقد نلبد جو الغرفة بالدخان الأزرق . وكان قد رجا أشندن أول الليل ألا يفتح النافذة بحجة أن هواء الليل خطر على الصحة . ونهض الرجل الى الحوض الملحق بالديوان فجعل يفسل أسنانه ويتفرغر بصوت عال . ثم أخرج من حقيبته زجاجة كولونيا صب منها قليلا فوق منشفة وجعل يدلك بها وجهه ويديه . ثم تناول مشطا ونسق به شعره المستعار فى عناية . ثم استخرج زجاجة من العطر ذات مضخة رناشة وضخ بها قعيصه ومنديله ، ثم التفت الى أشندن :

— أنا الآن على أتم استعداد لمجابهة العالم أجمع . استعمل

لغسيل وجهك هذه الكولونيا فهى من أحسن منتجات باريس

— شكرا لك ، لا احتاج لغسيل وجهى الا للماء والصابون

— ماء ؟ أنا لا استعمل الماء الا فى الاستحمام . فهو يفسد بشرة

الوجه

وقرب الحدود تذكر أشندن المسدس الذى رآه عند وقوف القطار فى يد الجنرال فأخذه منه لانه بفضل جواز السفر الدبلوماسى معنى من التفتيش ، وعندئذ قال الجنرال :

— سأعطيك أيضا مديتي . فالمدية هي سلاحى المفضل . لانها سلاح أتيق . اما المسدس فيستطيع ان يستعمله أى إبله وبحركات خاطفة خيل لاشندن انها حركة واحدة فك اضرار صداره وأخرج من حزامه مدية طويلة فطيعة الشكل قدمها الى اشندن فخورا وهو يقول :

— انها من خير انواع الصلب فى العالم . شغرتها حادة كشفرة موسى . وقوية كالخنجر . تستطيع بها ان تقطع ورقة سيجارة أو تسقط شجرة بلوط على السواء . وتبدو وهى مقفلة كمدية تلاميذ المدارس .

— هل معك أسلحة أخرى ؟

— ليس سوى يدي . ولكن رجال الجمرى لن يرتابوا فيهما وعندئذ تذكر اشندن قوة قبضته عندما صافحه أول مرة فمرت الرعدة فى جسده . وكانتا يدين مريضتين طويلتين ناعمتين . لا اثر على ظهريهما ولا على المعصمين للشعر . اما الاظافر فمقصوفة قصا مدببا انيقا ومطلية باللون اللامع ، ومع ذلك ففيها شئ مخيف



الفصل الخامس

المرأة السمرية

وعند وقوف القطار للتفتيس في الحدود تجاهل كل من الجنرال كارمونا واشندن صاحبه ، وبعد استئناف السير أعاد اشندن الى المكسيكى الامر المسمى والمدية . فتنهد الجنرال قائلا :

— الآن اشعر بهزيد من الارتباك . وما رايتك في ان نلعب الورق لنمضية الوقت ؟

— لا مانع عندي

ففتح المكسيكى الامر المسمى حقيبته مرة اخرى واستخرج من احد اركانها أوراق اللعب . وكان الورق الذى بيد اشندن جيدا ولكن الجنرال كان يكسب دائما . وفتح اشندن عيبيه تماما لانه اعتقد ان خصمه من الجائز ان يعمد الى الغش ، ولكنه لم يكتشف شيئا يدل على ذلك . واستمرت خسارته دورة بعد دورة . وتكدست هذه الخسائر الى ان قاربت الالف فرنك ، وهو مبلغ كان يعتبر حينئذ غير صغير . وكان الجنرال يدخن باسمرار سجائر لا تحصى يلفها بنفسه بحركة من اصبعه ، ولعقمة من لسانه ، في سرعة لا يتصورها العقل . وأخيرا استلقى في مقعده وساله :

— بهذه المناسبة يا صديقى ، هل تدفع الحكومة البريطانية لك خسائر لك في لعب الورق حين تكون في مهمة رسمية ؟

فقال اشندن باستغراب :

— كلا بالطبع

وعندئذ قال الجنرال بوقار :

— اذن في هذه الحالة اعتقد أنك خسرت ما فيه الكفاية . ولو ان خسائر كانت تضاف الى حساب نفقاتك الرسمية لا ترحت عليك

أن تستمر في اللعب الى أن تبلغ روما . ولكنك شخص ظريف
خفيف الظل ولا أريد أن أربح المزيد من نقودك الخاصة
ثم جمع أوراق اللعب ونحاشها جانباً . وأخرج أشندن حافظة
نقوده واستخرج منها بضعة أوراق مالية قدمها الى المكسيكي
فاحصاها ثم وضعها بعنايته المعهودة في حافته . ومال الى الامام
وربت على ركبة أشندن :

— انى أجبك فانت مواضع وغير متكلف وليست فيك عجرفة
مواطنيك . وأنا وانى انك ستتقبل نصيحتي لك بالروح التى أملتها
على . لا تلعب الورق بعد اليوم مع أشخاص لا تعرفهم !
فشعر أشندن بالخزي ولعل ذلك ما ظهر على وجهه فقد تناول
المكسيكي يده وهتف قائلاً :

— هل جرحت شعورك يا عزيزى ؟ ماكنت لا قدم على ذلك لاي
سبب من الاسباب . وأنا أشهد الحق انك لا تلعب الورق أسوأ
من معظم الالاميين . فليس الذنب في الخسارة ذنبك . ولو أننا كنا
سنبقى مدة اطول معا لعلمتك كيف تكسب في اللعب . فالانسان
انما يلعب الورق كي يكسب مالا ، فليس للخسارة معنى
فضحك أشندن ضحكة فجأة ، وقال :

— كنت اظن انه في الحب والحرب فقط تكون جميع الوسائل
جائزة !

فصحك الجنرال وقال :

— يسعدنى ان أدراك بتبسم . فهكذا يجب أن يتقبل الانسان
الخسارة . وانى أرى الآن انك رجل ذو عقل وذو فطنة ، وتحسن
تقبل الامور بصبر رجب ، ولذا ستبلغ في الحياة مبلغاً حسناً .
فهذه أدوات الوصول الصالح . وعندما أعود الى المكسيك ، واسترد
ممتلكاتى وضياعى ، يجب أن تأتى للاقامة معى هناك . وسوف
استضيفك في مستوى ملكى ، فتركب افضل جيادى وسنذهب
الى مصارعة الثيران معا . واذا راقت في عينيك فتيات فعا عليك
الا أن تقول كلمة واحدة حتى يكن طوع امرك !

وشرع الجنرال يروى لاشندن أمر الممتلكات الزراعية الشاسعة
والحصون والمناجم التى يملكها في المكسيك والتى صادرها اعداؤه .

وحدثه عن الابهة الانقطاعية التي كان يعيش فيها . ولم يكثر
أششدن هل كان ما يقوله الجبال صدقا أو كذبا . فحسبه أن
عبارته الرنانة كانت مثقلة بنمار الحبال ومعطره بأريج الاسطورة
كانت صورة رومانية رائعة . لانه في الواقع كان يصف حياة
ماذخه ، كما تنتمي الى عصر آخر من عصور البشرية . وكانت
اشارات يده من اللقطة في التعبير بحيث تمد أمام عين العقل آفاقا
باسرها من المرائي الخضراء والرياح الينعة والجبال التي تغطي
سفوحها العباب وتغطي قممها الثلوج ، حتى اذا جنحت الشمس
للمعيب امتلأت الربي بقطعان لا يحصيها العدد من الماشية عائدة الى
المراود . وفي الليالي القمرية يتهاوى النسيم معطرا بأريج الارض
الخصبة ، وغناء المرنمين على نغمات الجيتار يسكر اعطاف الليل ..

... كل هذا حسره يا ساحبي . خسرت كل شيء وفترت
بحياتي الى باريس . وهالك اضطرت ان اكسب قومي باعطائه
دروس في اللغة الاسبانية للأمريكيين . او بمصاحبتهم لادلهم على
أماكن المتعة واللهو في ازمة باريس . واذا أنا الذي كنت أنفق الف
« دوروس » على غدائي او عشاءي ، قد يت استجدي خبري كائني
هندي أحمر اعمى . وأنا الذي كنت أجد لذتي في تزيين معصم امرأة
حسنة سوار من الماس النمين ، اضطررتي الحليجة الى قبول بذلة
جديده من خبزبون أكبر من امي . ولكن صبرا ايها الصديق .
فالعصر لا يدوم ، وقد حان الوقت الذي تضرب فيه صربتنا

ثم تناول أوراق اللعب وأخذ يرتبها في سعوف وهو يقول :

— فلنر ماذا تقول الأوراق . فالورق لا يكذب . آه لو أنني
آمنت بالورق ايماناً كاملاً كما ينبغي ! اذن لكسبت الاقدام على
العمل الوحيد في حياتي الذي ثقلت وطأته على نفسي . ان ضميري
مستريح فقد فعلت ما كان أي رجل حرياً أن يفعله في مثل ظروفي ،
ولكنني أسف لان الضرورة الجأتني الى اتيان عمل كنت اتمنى لو
تجنبته ! لقد حذرني الورق وألذرنني . اني لا أنكر أنك فقدت كان
التحذير واضحا فاطما . اظهر لي الورق الحب وامرأة سمراء
والخطر والخيانة والموت في مجموعه واحدة . وكان ذلك واضحا
لرأه كما أرى الانف الذي في وجهك . وأي ابله كان حرياً ان يدرك

معنى ذلك النذير . فما بالك وأنا الرجل الذى تعود طول حياته على استعمال الورق . فلا يكاد يوجد عمل أقدم عليه من غير أن استشير الورق . فلا عذر لى ... انكم يا أبناء الشعوب الشمالية لا تعرفون ما هو المعنى الحقيقي للحب . لا تعرفون كيف يدود النوم عن العين ، وكيف يدود الشهية للطعام حتى يدوى المرء كأنه صريع الحمى . لا تعرفون كيف يستولى الجنون على المحب حتى لا يبالي بشيء فى سبيل اطفاء رغبته الجامحة . ورجل مثلى حرى أن يقدم على أية حماقة أو أية جريمة اذا احب . أجل يا سنيور ! وخليق أيضا بدافع الحب أن يقدم على أعمال البطولة . فأيمنما يوجهه الحب ينتجه علوا أو دنوا . يجتاز جبلا أعلى من أفرست ، ويعبر بحارا أعتى من الاطلنطي . يمسى الها أو شيطانا كيفما يشاء له الحب . وكانت النساء دائما آفتى !

ومرة أخرى اخذ المكسيكى الامرد ينظر فى الاوراق ببسسطها وينسقاها . يتناول بعضا ويترك بعضا آخر

— لقد احببنتى اعداد لا تحصى من النساء . ولست اقول ذلك للتفاخر ، وليس عندى تفسير لذلك ، فهى مسألة واقع وكفى . اذهب الى مدينة المكسيك وسل الناس هناك عما يعرفون عن ماثويل كرمونا وغزواته النسوية . سلهم كم امرأة استطاعت أن تصمد وتقاوم ماثويل كرمونا !

وكان أشندن يرقبه وقد قلب حاجبيه قليلا . فهو لا يدري هل المكسيكى الامرد مقتنع فعلا بسحره الذى لا يقاوم ، أم انه ماهر فى الكذب ...

— هناك شيء اسمه القدر ... وما من قوة على الارض تستطيع أن تمحوه أو تغيره . وأنا رجل شجاع ، ومع ذلك تملؤنى الرهبة أمام الورق الذى يحمل لى نذير القدر ...

وكانت قد بقيت فى يده أربع ورقات مقلوبة جعلت يتحسرس ظهورها ولا بجسر على كشفها وقد ارتسم على وجهه قلق لا يحاول أن يخفيه

وعاد يقول :

— هذه الاوراق الاربعة تحمل كلمة القدر . وأنا ارتعد امامها

ومجأة تغير وجهه وسال اشندن :

— ماذا كنت افول لك ؟

— كنتك تقول لى ان النساء يحدن سحرك لا يقاوم

— فعلا . ولكنى التقيت بامرأة واحدة قاومنى . رأسها أول مرة فى بيت من بيوت اللهو فى مدينة المكسيك . كانت تهبط السلم وأنا اصعده . ولم تكن حميلة للعابة ، فقد حظيت بمئات من النساء أجمل منها . ولكن كان فيها شيء ما استلغ نظرى . فقلت للمرأة العجوز التى تدبر ذلك البيت ان تبعث بها الى . وهذه المرأة العجوز ستعرفها حتما عندما تذهب الى مدينة المكسيك . فهى أشهر مديرات بيوت اللهو ويسمونها هناك المركيزة . وقالت لى المركيزة ان هذه الفتاة لبسب من المفيمات فى الدار ، ولكنها عضو متنسبة تاتى بين الحين والحين لمهمات خاصة ، وتنصرف الى بيتها . فطلبت .ها ان تستدعيها فى المساء التالى ولا تسمح لها بالانصراف الى ان احضر . ولكنى فى الليلة التالية تأخرت ، وعندما وصلت اخبرتنى المركيزة ان الفتاة قالت لها انها لم تعود الانظار وانصرفت . وأنا رجل منسماح لا أبالى أن تتدلل المرأة فى بعض الاحيان ، فهذا جزء من سحرهن الخاص . ولدا ضحكنا وأرسلنا الى الفتاة ورقة من ذات المائة دوروس ، ووعدت ان آكون فى الموعد المحدد بالضبط فى اليوم التالى . ولكن عندما ذهبت مبكرا فى اليوم التالى ردت الى المركيزة المائة دوروس ، وقالت لى ان الفتاة لا تشعر نحوى بميل . فضحكنا من وقاحتها ، وخلعت من اصبعى خاتما ماسيا ، وقلت للمركيزة ان تعطىها الخاتم وترى هل سيتغير رايها فى ام لا . وفى الصباح اتتني المركيزة مقابل خاتمي الماسى بورده حمراء . فلم ادر هل أضحك ام أغضب . وأنا لست معودا على الاستهانة بعواطفى . ولا اتروى فى انفاق المال : فما نفع المال ما لم نبعثه على النساء الحسنات ؟ وقلت للمركيزة ان تذهب الى الفتاة وتخبرها انى سأعطىها الف دوروس اذا تعست سقى تلك الليلة وسرعان ما عادت العجوز بجواب الفتاة انها مستعدة للحضور على شرط ان اسمح لها بالعودة الى بيها بعد انتهاء الفشاء مباشرة وقبلت الشرط . وأنا اهز كشفى لانى لم اعتقد انها جادة . وظننت انها

تقول ذلك كى تريد من رغبتى فيها . وحضرت الفتاة لتناول العشاء فى دارى . هل قلت لك انها لم تكن جميلة ؟ لا تصدقنى ! لقد كانت اجمل واقتن امرأة قابلتها فى حياتى . سحرتنى . كانت فائنة ظريفة حاضرة اليدوية ، لها كل سحر الاندلسيات . كانت جذيرة ان تعبد ، وسالتها لماذا استهانت بى على تلك الصورة ؟ فضحكت هازئة ولم تجب . وحاولت استمالتها وبذلت فى ذلك غاية جهدى . ولكن ما ان انتهينا من العشاء حتى نهضت من مقعدها قائمة والقت على تحية المساء ايدانا بالانصراف . ففطرت فمى وسالتها الى اين هى ذاهبة ؟ فقالت ابنى وعدت بان اتركها تنصرف بعد العشاء مباشرة . وقد وثقت بى لانى رجل شريف يجدر به ان يفى بوعد . واخذت اقنعها واتوسل اليها ، ثم ثرت ولكن الفتاة لم تقبل ان تحطنى من وعدى . وكل ماظفرت به هو ان تعدنى بالحضور فى الليلة التالية لتتعشى معى بنفس الشروط . وظللت سبعة ايام اعطيها كل يوم الف دوروس كى تتعشى معى ، وفى كل ليلة كنت انتظرها وقلبى فى حلقى . وانا قلق متوجس كأننى عاشق مبنديء ، او مصارع ثيران يبرز أمام الجمهور للمرة الاولى . وفى كل ليلة كانت تلاعبنى وتعبث بى ، وتبدي لى من فنونها ودلالها ما يشعل جنوبى حتى بت احبها حبا لا حد له . لم احبب مثله احدا من قبل ولا من بعد . لم اعد افكر فى شىء سواها واهملت كل شىء وانا الرجل الوطنى الذى يحب بلاده . وكنا مجموعة صغيرة من الرجال استقر رأينا على الاطاحة بالظفان الذى يسود وطننا . وكان يفيظنا ان جميع الوظائف الدسمة كانت لاصهار الطغاة وأقاربهم . وكنا نؤدى الضرائب مثل عامة الشعب ، ولا يقام لنسبنا العريق وزن ، وكنا نملك المال والرجال ، فاجكنا تديرنا ، وتاهبنا لنضرب ضربتنا . وكان على فى تلك الفترة ان اعقد الاجتماعات وأدير السلاح والذخيرة ، وأوصل الاوامر الى رجالنا السريين . ولكنى كنت مجنونا بهذه المرأة فلم أستطع ان احسن شيئا من تلك الامور . وكان من المفروض ان اسخط عليها لسخرتها منى . انا الذى لم احرب فى حياتى الحرمان من شىء اشتهيته . ولم اصدق انها تتمتع على لتزيد رغبتى اشتعالا ، بل صدقت انها كانت صادقة عندما

قالت لى أنها لن تمنحني نفسها الا اذا تأكدت من أنها تحبني
وكانت تقول ان على أن أجعلها تحبني . كنت اظنها ملكا كريما ،
وكنت مستعدا للانتظار والصبر ، وانا واثق ان شدة حبي ستنتهي
باشغال الجدوة في قلبها . وأخيرا ... أخيرا جدا قالت لى أنها
أحبتي . فكان انفعالي بذلك النبأ مروعا ، حتى خيل الى أنني
ساخر صريحا ! كدت أجن من الفرح ! وكنت مستعدا ان أنزل لها
من كل ما أملكه في الدنيا . كنت قمينا ان أنثرع النجوم من السماء
لتزين بها شعرها . كنت أريد ان أفعل شيئا كي أبرهن لها على
تجاوز حبي لجميع الحدود . كنت أريد ان أفعل المستحيل الذي
لا يتصوره عقل ، كنت أريد ان أعطيها نفسى وروحى وشرقى وكل
شيء . ولذلك وهى واثقة تلك الليلة بين ذراعى أخبرتني بمؤامرتنا
واشخاصنا الحقيقية وموعده التنفيذ . وشعرت بجسمها يتصلب
من التيقظ والانتباه وهى تسمع ما أقول . ثم شعرت بكفها باردة
جافة ، فاستولى على الشك وتذكرت على الفور ما أئذرنى به الورق
من اجتماع الحب وامرأة سمراء والخطر والخيانة والموت .
والتصمت بصدى ، وقالت لى أنها تفزع من سماع تلك الامور ،
ثم سألتني ان كان فلان وفلان من بين المتأمرين . واجبتها لانى
أردت ان أتحقق من ظنى . وينهاء لا حد له جعلت بين القبلات
تستخلص منى التفاصيل . حتى أصبحت متأكدا كئاسى من
جلوسك أمامى أنها جاسوسة من رئيس الجمهورية . وأنها مكلفة
بالاستيلاء على لى وهامى ذى الان قد استخلصت منى جميع
أسرارنا . لقد باتت حياتنا جميعا بين يديها وأيقنت أنها ان غادرت
هذه الغرفة فسوف تقتل جميعا قبل مضي أربع وعشرين ساعة .
كنت أحبها . ولنى تستطيع الكلمات أن تصور لك هذاب الرغبة
التي كان يحترق بها فؤادى . وان حبا كذلك الحب لا لذة فيه .
انه ألم . ألم رائع يسمو فوق كل لذة . انه ذلك القلق القدسي
الذى يتحدث عنه القديسون عندما تستولى عليهم النشوة السماوية
وأدركت أنها ينبغي الا تترك هذه الغرفة حية ، وخشيت ان تباطات
في التنفيذ ان تخونني شجاعتى ... وسمعتها تقول : « سأنام الان »
وقلت لها : « نامى يا يمامتى » فقالت ، وهى تقبلنى « يا حبة

فؤادى ومهجتى وحياتى » وكانت هذه آخر كلمات نطقت بها اد
سرعان ما أغضت عينيها وبعد قليل ادركت من تنفسها
المنظم الذى يعلو به صدرها الناضج كفاكهة البستان ويهبط لصق
قلبى انها نامت . كنت احبها ولا اطيع ان تتألم . اجل انها
جاسوسة ، ولكن قلبى أمرنى ان اجنبها هول ما استوجبت على
نفسها . ومن العجيب اننى لم أشعر بالضيق لانها خانتنى ، ولا
بالكراهية لوضاعة فعلتها . كل ما شعرت به ان روحى تسودها
الظلمة . الحالكة . وأوشكت ان أعجز باكيا رحمة بها ، وأنا أجذب
ذراعى يرفق شديد من حول حصرها . ونهضت معتمدا على يدي
ونظرت الى وجهها . ولكنها كانت جميلة جمالا معروضا يعتصر القلب
فاشحت بوجهى بعيدا وأنا أغمد مديتى بكل قوتى فى نحرها
الديع . ومن غير أن تستيقظ انتقلت سريعا من النوم الاصفر الى
النوم الاكبر ...

وتوقف المكسيكى الامرد عن الكلام وعاد يحلق الى الاوراق
الاربع المقلوبة وهو لا يجسر على الكشف عن وجوها :

- كان كل ذلك فى الورق . فلماذا لم انتفع بالذير ؟ سوف
لا اكشف عن هذه الاوراق . عليها اللعنة ؟

وبحركة متيفة من يده اطاح بالاوراق الى الارض واضطجع فى
مقعده ولف لنفسه سبجارة ، وهو يقول :

- وضع اننى مفكر حر ، الا اننى دفعت مالا كثيرا لاقامة الصلوات
على روحى فى جميع الكنائس التى امرتها

وجذب من سيجارته نفسا عميقا ثم هز كتفيه ، وقال :

. قال لى الكولونيل انك كاتب . ماذا تكتب ؟

- اكتب قصصا

- قصصا بوليسية ؟

- كلا

- ولم لا ؟ انها القصص الوحيدة التى اطالعها . ولو كنت كاتبا

! كتبت الا القصص البوليسية

- ربما لانها شافة جدا فى التأليف

وغير أثنسندن مجرى الحديث وأخذ يتكلم مع المكسيكى عن

مهمهما . فهما سيفرغان عند روما ليسوحنه المكسيكى الى برنديرى
وبسوجه اسندن الى نالى . واراد اسندر ان يعطى الجنرال روم
حجره فى فندق طفاست الذى سينزل به كى يصعد الى الحجرة
مباشرة عند اللوم من غير ان يسأل عامل الاستقبال . ولكنه بعد
تفكير لم يعطه روم الحجرة بل جعله يكتب بخط يده عنوانه فى
برنديزى على مطروف . ثم كتب اسندن روم الحجرة فى قصاصة
من الورق وأرسل الحطاب بالبريد كى يسلمه الجنرال من شبك
البريد فى برنديرى

وهز الجنرال كفيه ، وقال :

— بالها من احتياطات اطمان ، فليس هناك ادنى مجازفة . وتق
أنه مهما كانت النتائج فلن يصيبك اذى
— ليست هذه المهمة مما تعودت ان اقوم به . ولكنى انقد
تعليمات الكولونيل

— لكن . ولكنى اردت ان اريد فى طمانينك . وسحب ان تشعر
أنك بامان من كل سوء كأنك ستزده على نشاطك التاميز

واخيرا عندما افترق الانسان فى روما ووجد اسندن نفسه وحده
فى صالون القطار الداهب الى نابلى زفر رفرة عميقة وشعر
بالارتياح . وسره ان ينحصر من ذلك الترنار القبيح الشكل
الواسع الحال . وذهب ذلك الرجل الى برنديرى ليعاين مسنطين
أندرناى . وسرب الرجفة فى جسم اسندن . ما من مسح ولو نصف
ماجدنه به الجنرال عن نفسه ، فالتجاسوس اليونانى فى عداد الاموات
معد الآن . وكان من العسير على اسندن ان يتصور ذلك اليونانى
وهو يمر بحر الادريانيك غافلا عما يسطره ، وحاملا تلك الوثائق
السرية الخطيرة

ولكنها الحرب . والبلهاء وحدهم^١ هم الذين يخيل اليهم انها
يمكن ان تكسب بالوسائل الشريعة والمادى: القطيعة وحدها

الفصل السادس

نتيجة غير متوقعة

عندما وصل اشندن الى نابلي اتخذ لنفسه حجرة في الفندق وكتب رقما فوق قصاصة ورق وارسلها داخل المظروف الذي كتب عليه المكسيكي الامرد عنوانه . وبعد ذلك توجه الى القنصلية البريطانية لان الكولونيل كان قد رتب الامور بحيث يرسل اليه عن طريق القنصلية اية تعليمات تعن له . وتبين لاشندن انه يعلمون بقدومه ؛ وان كل شيء قد اعدت له اهبطه على خير وجه . وعندئذ اخلى ذهنه من هذه المسائل واسعد كى يتمتع بمدة اقامته في نابلي على احسن وجه

وفي الجيوب من ايطاليا كان الربيع قد اوغل فصارت الشمس شديدة الحرارة في شوارع المدينة المزدحمة . وكان اشندن يعرف نابلي معرفة جيدة فكان ميدان القديس فردينانسو وميدان الاقتراع والكنيسة الجميلة القريبة من هناك تنير في نفسه ذكريات حلوة

وجعل يتمهل عند نواصي الشوارع ، وينظر الى الحارات الضيقة التي ترقى بالسائر فيها الجبل رقا عتيقا ، وعلى جانبها البيوت العالية وقد علق فيها الثياب المفسولة لتجف . وجعل يتلأ في مشيته على الشاطئ وهو يحمل في البحر الازرق وقد ارتسمت على افقه البعيد مدينة كابري بالوان باهتة . واخيرا افضى به المسير الى قصر عتيق متهدم قضى فيه وهو طفل ساعات ممتعة . ثم ركب عربة يجرها حصان واحد هزيل وكر راجعا الى فندقه

وظل اشندن يعيش على هذا النمط المتراخي الفارغ ثلاثة ايام . فكان لا يفعل شيئا منذ الصباح حتى الليل سوى التجول على غير هدى ، والنظر لا بعين السائح المتعجبة ، ولا بعين الكاتب

المتفحصة ، بل بعين المنتشر الذي لا يعنيه من هموم الدنيا شيء .
 كوتردد على المتحف ليرى روائع التماثيل والصور . والم طويلًا
 بكنيسة القديسة كيارا لأنه كان يعيش تلك الكنيسة بصفة خاصة
 وفي الصباح الرابع فلأغ اشندن من حمامه وأخذ يجفف جسمه ،
 وإذا بالباب يفتح بسرعة ويندفع الى داخل الحجرة رجل . فصاح
 اشندن :

— ماذا تريد ؟

— على رسلك . ألا تعرفنى ؟

— يا الهى ! انه المكسيكى ! ماذا فعلت بنفسك ؟

وكان المكسيكى قد استبدل بشعره المستعار شعراً أسود قصيراً
 فتغير منظره كل التغير وان ظلي شكله على العموم غريباً ، ولكن
 بصورة مختلفة عن ذي قبل . وكان يرتدى بذلة رمادية عتيقة

— سوف لا أستطيع البقاء الا دقيقة واحدة . لأنه يحلق ذقنه

فشعر اشندن بخديه يحمران فجأة وسأله :

— هل وجدته الذن ؟

— لم يكن ذلك صعباً . لأنه كان اليونانى الوحيد بين ركاب
 السفينة . وقد صعدت الى ظهرها عندما ألقت مراسيها وجعلت
 اسأل عن صديق ركبها من يريه زعمت اسمه جورج ديوجينيدس .
 وأظهرت دهشة شديدة لعدم حضوره وهكذا دخلت فى حديث مع
 أندربادى . وهو مسافر تحت اسم مستعار اذ سعى نفسه
 لومباردوس . وقد تبعته واقتبعت اثره بعد نزوله الى البر . فهل
 تدري ماهو اول شيء فعله ؟ لقد ذهب الى دكان حلاق وحلق
 لحيته . فما رأيك فى ذلك ؟

— لاشيء ، فأى شخص يستطيع أن يحلق لحيته

— ليس هذا ما اعتقده . لقد أراد أن يغير سحنته . انه ماهر .
 وأنا شديد الإعجاب بالامان لانهم لا يتركون شيئاً للصدف . وقد
 اصندروا اليه تعليمات مفصلة ، ولكننى سأحدثك عن هذا بعد
 قليل

— ولكنك انت أيضاً غيرت سحنتك

— انه الشعر . اليس كذلك ؟

— ماكنت لأعرفك !

— يجب على الانسان ان يلتزم الحيطة دائما ، لقد اصبحت
انا وهو صديقين حميمين . لانه كان قد قرر قضاء اليوم في برنديزي
وهو لا يستطيع التخاطب باللغة الإيطالية . وكان مسرورا جدا
لوجودى بجانبه . ثم بعد سهرة لطيفة في برنديزي ركبنا القطار
معا . ولما وصلنا الى نابلى جئت به الى هنا . الى هذا الفندق ،
وهو يقول انه سيسافر الى روما غدا . ولكنى لن أدعه يغيب عن
ناظرى . فانا لا اود ان يروغ من يدى . وقد أبدى رغبة في مشاهدة
ملاهى نابلى ومعالها . فعرضت عليه ان أصحبه وأريه كل ما يستحق
المشاهدة فيها

— ولماذا لا يذهب الى روما اليوم ،

— هذا جزء من القصة . فهو يدعى انه رجل أعمال يونانى جمع
ثروة طائلة في مدة الحرب . ويقول انه كان يملك باخرتين ساحلتين
فباعهما . وهو الآن ينوى الذهاب الى باريس كي يتمتع ويلهو ،
فقد ظل طول عمره يتلهف على باريس ، الى ان سمحت له الفرصة
أخيرا . وهو رجل كزوم بذلت جهدى في استدراجه للكلام ، فقلت
له اننى اسباني وانى ذهبت الى برنديزي كي انظم اتصالات سرية
مع تركيا لتهريب معدات حربية . فأصغى لما أقول ، وظهر عليه
الاهتمام ، ولكنه لم يقل شيئا وبطبيعة الحال لم أجد من الحكمة
ان أدفعه

— والوثائق ؟

— يحملها معه

— وكيف عرفت ذلك ؟

— انه ليس شديد الحرص على جيبويه . ولكنه بين حين وآخر
يتحسس خاصره . فالوثائق اما ان تكون في حزام داخلى أو في
بطانة ستروه

— ولكن لماذا بحق الشيطان اتيت به الى هذا الفندق بالذات ؟

— ظننت ان ذلك يكون أفضل . لأننا قد نحتاج الى تفتيش
أمتعته

— وهل انت معيم هنا أيضا ؟

— كلا . فلست ابله الى هذا الحد . لقد قلت له اننى ذاهب الى روما بقطار الليل المتأخر ولهذا لا احتاج الى حجز غرفة والآن يجب ان اذهب لانى وعدته ان اقبله خارج دكان الحلاق بعد ربع ساعة

— وهو كذلك

— واين استطيع ان اجدك الليلة اذا احتججت اليك ؟
فنظر اشندن الى المكسيكى الامرد برهة طويلة ثم قال :

— ساقضى المساء فى حجرى

— هذا عظيم . والآن هل لك ان تودى الى خدمة ؟

— ماهى ؟

— انظر هل فى الممر الخارجى احد

فتفتح اشندن الباب ونظر الى الدهليز فلم يجد احدا . والواقع ان الفندق فى ذلك الموسم كان خاليا تقريبا من النزلاء فصاقل الاجانب فى نابلى فى زمن الحرب

— كل شيء على مايرام

فخرج المكسيكى الامرد يمشى فى اقدام وجراة منتصب القامة . واغلق اشندن الباب خلفه ثم خلق ذقنه وارتنى ملاسبه ببطء . وكانت الشمس مشرقة كالعادة فى الميدان بصورة بهيجة . وكان كل شيء يقع عليه نظره يوحى بالسرور ، الا ان اشندن لم يشعر بهجة ولا سرور فى ذلك اليوم ، لانه احس بعدم ارتياح داخلى . وذهب كفادته الى مقر القنصلية الانجليزية ليسالهم هل وردت باسمه رسائل برقية او بالشفرة . ولم يجد شيئا ، فذهب الى مكاتب شركة كوك والسباحة ، ونظر فى مواعيد القطارات المسافرة الى روما لبلا . فاذا هناك قطار يقوم بعد منتصف الليل بقليل ، وقطار آخر يقوم فى الخامسة صباحا . وتعمنى لو استطاع ركوب القطار الاول

ولم يكن يدرى شيئا عن خطط المكسيكى . فلو انه كان حقا يريد الذهاب الى كوبا لكان من الافضل له ان يشق طريقه الى اسبانيا . ولما نظر اشندن الى مواعيد السفن ، وجد ان هناك سفينة سبهر فى اليوم التالى من ميناء برشلونه

وكان اشندن قد سئم نابلي . واخذ الشماع الساطع باستمرار في شوارعها يجهد عينيه . أما التراب فكان لا يطاق ، والضوضاء تكاد تصم أذنيه

وتوجه اشندن بعد ذلك الى مقصف جاليريا وتناول كأسا من الشراب . وقضى فترة بعد الظهر في دار للسينما . وبعد أن خرج من السينما ذهب مباشرة الى فندقه وقال لكاتب الاستقبال :

— سأسافر في ساعة مبكرة جدا من صباح غد ، ولهذا أفضل ان أسوى حساب اقامتي الآن

وبعد تسوية الحساب اخذ اشندن حقيبته الى المحطة ولم يترك في حجرته الا حقيبة كتب صغيرة فيها كتابان . وعاد الى الفندق فتناول الطعام وصعد الى حجرته لينتظر فيها المكسيكي

الأمرد

ولم يستطع ان يخفى على نفسه انه كان مصيبا للغاية . وشرع يقرأ ولكن الكتاب كان شافا فجرب الكتاب الآخر . ولكن انتباهه كان يخونه ، فيشرد كثيرا عن القراءة . وبدأ ينظر في ساعته ، فاذا الوقت لم يزل مبكرا جدا ، فرجع الى الكتاب مرة أخرى ، وآلى على نفسه الا ينظر الى ساعته مرة أخرى ، الا بعد ان يتم قراءة ثلاثين صفحة بعناية تامة

ومع انه كان يقرأ السطور بامانة ودقة ولا يقفز منها شيئا الا انه لم يفقه شيئا كثيرا مما قرأه . وفي ختام الثلاثين صفحة نظر الى الساعة مرة أخرى فاذا بها لم تتجاوز العاشرة الا بدقائق قليلة . وبدأ يتساءل أين يكون المكسيكي الأمرد الان ؟ وماذا يصنع ؟ وخشى ان يكون قد فشل في مهمته

انها مهمة فظيعة ولكن . لابد من الانتظار . وقام برأسه أن يغلق النوافذ ويسدل الستائر ففعل ذلك . ثم اخذ يدخن السجائر بصورة متلاحقة الى ان صارت الساعة الحادية عشرة والربع . وخطر بباله خاطر جعل قلبه يدق دقا عتيقا . ودفعه الاستطلاع الى احصاء نبضه ، فادهشه أن يجده عاديا تماما . ومع أن الليلة كانت دافئة ، والحجرة ثقيلة الهواء ، الا أن يديه وقدميه كانت باردة كالثلج

وضاق بمحلله الخسه التى جعلت تحسم له اشكالا غريبة جدا ، وصورا لا يريد ان يتمتلها بحال من الاحوال ! انه كاتب . ويحكم تلك المهنة كثيرا ما فكر في جرائم القتل . وطالع في ذلك الموضوع . والآن يراود دهمه وصف لجريمة قتل جاء في كتاب الجريمة والعقاب للكاتب ديسوبفسكى ، وهو الآن لا يريد ان يفكر في ذلك الموضوع ولكن الموضوع يفرس نفسه عليه فرضا . وسقط الكتاب من فوق ركبته وهو يسأل نفسه :

— هل نابلى مديبة يمكن ان يفتروا احد فيها جريمة قتل ؟ ونظر اشندن مرة أخرى الى الساعة وقد شعر بتعب شديد . لم كف عن محاولة القراءة لان دهمه قد اضحى كصحيفه بيضاء وعندئذ افتتح الباب يرفق شديد فقفز اشندن واقفا على قدميه وقد اقتصر بدنه . واذا بالمكسيكى الامرد ينتصب امامه . وساله باسم :

— هل افرعتك ؟ ظننت انك تفضل الا اطرق الباب

— هل راك احد وانت تدخل ؟

— لقد فتح لى حارس الليل وكان نائما عندما دققت الجرس فلم ينظر الى . واني آسف لاني تاخرت . ولكن كان يجب ان اغمر ثيابى

وكان المكسيكى الامرد الآن فى الثياب التى سافر بها ، وفوق رأسه شعره المسعر الاشقر اللون الطويل . وكان الفرق الذى احده هذا الصغير غريبا حقا ، فبدا اضخم قامة واشد ازدهارا . بل ان شكل وجهه نفسه تغير فعيناه الآن لامعتان ، وهو يبدو فى روح عالية جدا . ورمى اشندن بنظرة بريئة وقال :

— ما اشد شحوبك ايها الصديق ! لا اخالك متوتر الاعصاب ؟

— هل حصلت على الوثائق ،

— كلا . لم يكن يحملها فى جيوبه . هذا كل ما كان معه

وضع فوق المتضدة مفكرة جيب سميكة وجواز سفر . فقال اشندن :

— لا اريدهما . خذهما

فهر المكسيكى الامرد كنفه واعاد « المخططات » الى جيبه

— وماذا كان في حزامه ؟ قلت انه كان يتحسّن خاصرته
باستمرار

— لم أجد الا نقودا . وقد قلبت صفحات مفكرته فوجدت بينها
صور نساء . ولابد انه اودع الوثائق خزانة الفندق او دولا ب
حجرته قبل ان يخرج معى للسهرة
— باللعنة !

— معى مفتاح حجرته . ومن المستحسن ان نذهب الآن ونفتش
حقائبه تفتيشا دقيقا

فشعر أشندن بغثيان في معدته وتردد . فابتسم المكسيكى
ابتسامة لانه من رقة ، وقال كانه يطعم صبيا صغيرا :
— لا مجازفة في الامر ايها الصديق . ولكن اذا كنت غير مستريح
فأنا مسنعد ان اذهب بمفردى
— كلا . أنا قادم معك

— الكل نيام في الفندق . وطبعاً مستر اندريادى لن يعكر علينا
صلونا . ويستحسن ان نخطف نعلك
ولم يجب أشندن ولكنه لاحظ ان يديه ترتجفان قليلا وهو
يلك رباط عمله ويخلعه . وحذا المكسيكى الامرد حذوه . ثم
قال :

— من المستحسن ان تتقدمنى أنت ايها الصديق . در الى
اليسار واتجه مباشرة في الدهليز . والحجرة رقم ٣٨
وفتح أشندن الباب وخرج الى الدهليز الخافت الضوء . وكان
يضائقه ان يجد نفسه متوتر الاعصاب في الوقت الذى يرى فيه
رفيقه هادئ الاعصاب للغاية

ولما وصلا الى الباب رقم ٣٨ اولج المكسيكى الامرد المفتاح
في الباب ودخل فضاء النور . وتبعه أشندن واقفل الباب ثم لاحظ
ان المصاريح الخشبية مقفلة . وقال المكسيكى بكل ارتباك :

— نحن الآن على مايرام وأماننا الوقت متسع كما تشاء
ثم اخرج من جيبه حلقة من المفاتيح اخذ يجرب مفاتيحها في
حقبة الملابس الى ان عثر على المفتاح المنشود . وأخذ يخرج
المحتويات من الحقبة ، ثم قال بازدراء :

— ملابس من نوع رخيص ! مبدئي دائما انه من الارخص للانسان
على طول المدى ان يستري احسن الانواع . لانه اما ان يكون الانسان
سيدا شريفا او هو ليس بسيد شريف . والملابس تدل على الشخص
فأله اسندس بغيط :

— هل من الضروري أن تكلم ؟

فابتسم المكسيكى الامرد ، وقال :

— ربح الخطر تؤثر على الناس بأساليب مختلفة . فهي مثلا
تثير حيويته فقط . اما انت فتتلف مزاجك ايها الصديق !

— وواضح اننى مرتاع اما انت فلا

— مسألة اعصاب ليس الا

واخذ نحس كل بوب بسرعة ودقة فلم يجد اوراقا من أى
نوع . فاخرج مدبه وشق بطانة الحقيبة الداخلية فلم يجد شيئا
بداخلها

— الوثائق ليست هنا . فلا بد انها مخبأة فى الحجرة

— اوائق انت انه لم يودعها فى مكان ما ؟

— مثل ؟

— احدى الاتصالات مثلا

— انه لم يغيب عن نظري لحظة واحدة الا وهو فى محل الحلاقة

وفتح المكسيكى الامرد الادراج والدولاب . اما الارض فكانت
عادية ، ثم فتنس بين الحشايا والوسائد . وكانت عيناها السوداء
تنتقلان فى وميض ثاقب بين أرجاء الحجرة بحثا عن مخبأ . وشعر
اسندن أن لا شيء يغيب عن تلك النظرة الفاحصة . فقال

— تركها فى خزانة الفندق امانة

— وهذا ايضا كنت خليقا أن اعلمه . ثم انه مالاك ليحسر على

تلك المجازفة . انها ليست هنا وهذا ما أعجز عن فهمه

— هيا بنا نخرج

— دقيقة واحدة ...

ثم ركع المكسيكى على ركبتيه وأخذ يطوى الملابس بسرعة
واناقة وأغل الحقيبة ثم نهض واقفا واطفا النور . وفتح الباب

بتؤدة ونظر في الدهليز ثم أوما الى اشدندن وتسلسل خارجا . فلما تبعه اشدندن اقفل المكسيكى الباب بالفتاح وسار مع اشدندن الى حجرته . وبعد ان اغلق اشدندن الحجرة بالمزلاج جفف يديه وجبهته من العرق الغزير ، وصاح :

— الحمد لله . خرجنا من هناك سالمين

. فابتسم المكسيكى برفق وقال :

— الحق انه لم يكن هناك ادنى خطر . ولكن ماذا نصنع الآن ؟
سيغضب الكولونيل لاننا لم نعتز على الاوراق

— ساستقل فطار الخامسة صباحا الى روما . ومن هناك سأبرق الى الكولونيل في طلب التعليمات

— وهو كذلك . سأتى معك

— اعتقد انه من الافضل لك ان تغادر هذه البلاد بأسرع مايمكن .
وغدا ستبحر من هنا سفينة الى برشلونه . فلماذا لا تستقلها واذا
لزم الامر ذهبت لمقابلتك هناك ؟

فابتسم المكسيكى الامرد ، وقال :

— أراك متلهفا على الخلاص منى . ولكنى لن اخيب رغبة
املنها خيرتك في هذه الامور . وسأسافر الى برشلونه ولدى
تأشيرة دخول اسبانية

ونظر اشدندن الى ساعته وكانت قد تجاوزت الثانية بعد منتصف
الليل بقليل فنامه ثلاث ساعات من الانتظار . ورأى زميله يلف
سيجارة بكل راحة بال ثم قال لاشدندن :

— مارايك في وجبة عشاء متأخرة الآن ؟ فانى اشعر بجوع
شديد ، كجوع الضواري

وكانت كلمة الطعام كافية لشعور اشدندن بغتيان . ولكن حلقة
كان جافا وبه رغبة في الشرب . ولم تكن به رغبة في الخروج مع
المكسيكى الامرد . وفي الوقت نفسه لم تكن لديه رغبة في البقاء
بذلك الفندق وحده ، فسأل المكسيكى :

— أين يستطيع الانسان ان يذهب في هذه الساعة ؟

— تعال معى وسأجد مكانا مناسباً

فوضع اشدندن قبعته على راسه وحمل حقيبته الكتب ونزلا على

اطراف الاصابع حتى لا يوقظا حارس الليل للنائم فوق مكب الاستقبال . ولكن عين أشندن لمحت في الكوة الى تحمل رفم حجرته خطابا . فأخذه ووجد عليه عنوانه فدسسه في جيبه ، وخرجاً من باب الفندق بحذر ثم أغلقاه ومشيا بسرعة نحو مائة خطوة . وتحت ضوء مصباح في الشارع فض اشندن الخطاب فإذا به من القنصلية :

— نتشرف بارسال هذه البرقية الشفوية التي وردت الليلة بصفة عاجلة

ولابد أن الخطاب وصل الى الفندق قبل منتصف الليل . ولكن كسل الطليان المعروف جعل الموظف يودعه الكوة ولا يلتفت الى كلمة عاجل جدا المكتوبة على المطروف . رغم أن رسولا خاصا من القنصلية حمله الى الفندق . .

وفض اشندن البرقية الشفوية . ولما كانت عملية حل الشفرة تستغرق وقتا فقد دس البرقية في جيبه الى أن يتفرد بنفسه

وكان المكسيكي الامرد يسير كمن يعرف الطريق تماما في هذه الشوارع المغفرة وأشندن يسير بجواره . وأخيرا وصلا الى حانة في زقاق مغلق تنبعث منها ضجة ورائحة نفاذة . فدخل المكسيكي وهو يقول :

— انها ليست فندق ريتس بطبيعة الحال . ولكن في هذه الساعة من الليل لا يوجد الا مثل هذه الحانة . وبين السكارى الفقراء وقتيات الليل القبيحات جلس الاثنان ، وطلب الجنرال طبقين من الاسباجتى ورجاجة من نبيد كابرى . وما ان جاء الساقى بالزجاجه حتى شرب نصفها جرعة واحدة . ومزقت الموسيقى ، فقام بعض السكارى ليرقصوا مترنحين . ونهض الجنرال أيضا وقال لأشندن :

.. الا ترقص ؟ سارقص مع احلى أولئك الفتيات

وانتقى فتاة ذات عينيّن لامعتين واسنان ناصعة فراقصها ولاحظ اشندن أنه يرقص ببراعة . وأنه يتحدث الى المرأة وان كلماته جعلتها تبسّم ثم تضعك . وظهرت آيات المرح على ذلك الحديث الى نهاية الرقصة ، وعندئذ عاد الى اشندن واخذ يحثه على

الرفص كي يشعر بالبهجة ولا يطول عليه وقت الانتظار
 وصدحت الموسيقى مرة اخرى . فنظر الى الفتاة التى كان
 يرافضاها وأشار بأصبعه فقفرت قادمة نحوه . فكاد يختطفها من
 فوق الارض وهو ينور معها ثم اخذ يوزع النكات على الجالسين
 والراقصين بلغة إيطالية طليقة ، فارتفعت الكلفة بينه وبين الجميع
 وفى وسط الرقصة رأى الساقى يحمل طبقى مكرونة فترك
 الفتاة بلا مقدمات واسرع الى الطعام . ولما اكّد له اشندن انه
 لا يريد ان ياكل شدد عليه . فاكل اشندن مضغاً واذا به يكشف
 انه جائع جداً فاكل بقية الطبق . أما الجنرال فالتهم طبقه التهاما
 ثم طلب زجاجة اخرى من النبيذ . ثم مد ذراعه ليرت على ذراع
 اشندن . فصرح اشندن :

— ماهذا الذى يلطخ كم معطفك ؟

فالتى المكسيكى نظرة الى كمه وقال :

— هذا ؟ لاني . نقطة دم . حدث لى حادث صغير وجرحت
 نفسى ، وسكنت اشندن ثم تطلع الى الساعة المعلقة فوق باب
 الحانة

— اتفكر فى قطارك ؟ دعنى استمتع برقصة اخرى ثم اصحبك
 الى المحطة

ونهض المكسيكى بثقته التى لاحد لها وراقص اقرب امرأة الى
 يده . واخذ اشندن يتابعه بنظراته وهو متعجب ومعجب برشاقتة
 العائقة ومرحه ولولا انه ينبغي ان يصفى معه حساباً معيناً على
 حسب التعليمات قبل سفره لتركه يرقص حتى الصباح وانجه
 الى المحطة بمفرده

وكأنت التعليمات ان يسلم المكسيكى مبلغاً معيناً فى مقابل
 وثائق معينة . والوثائق لم يعثر لها على اثر . وهو لا يدري ما العمل
 الآن . وقطع عليه حبل افكاره تلويح المكسيكى الامرد له وهو
 يمر بقربه

— سأتى بمجرد توقف الموسيقى عن العزف . ادفع الحساب
 حتى تكون على تمام الاستعداد

وتمنى اشندن لو انه استطاع النفاذ الى عقل هذا الرجل

العجيب . "سر" سر تركيبه الخاص
وتوقفت الموسيقى وأقبل المكسيكي وهو يجفف بمنديله المعطر
العرف عن جيبه . فسأله أشنندن :

— هل استمتعت بوقتك يا جنرال ؟

— انا دائما استمتع بوقتي . نساء قبيحات . نغابات بيضاء
ولكن ماذا يعنيني ؟ انا احب ان اشعر بجسد امرأة بين ذراعي
وان ارى عينيها تنكسران ، وشفتيها تنعرجان ، لان جاذبيتى اذابت
نخاع عظامها كما يدوب الزبد في حرارة الشمس . نغابات بيضاء .
ولكنها نماذج من الانوثة ، وانا لا بد لى من اثاث . .

ومضى الإنسان في طريق المحطة . وكانت ليلة صائفة ، الريح فيها
سائلة ، والصمت يسر معهما كأنه شبح ميت ، وقرب المحطة كانت
في البيوت بقية من حباة . وسرت في الليل رجفة مقلقة تندر
بقرب طلوع الفجر . وسرعان ماضيهما مبنى المحطة . وكانت
الاستراحة خالية فجطسا في ركن منها . وكانت الساعة الرابعة .
وامام أشنندن ساعة كاملة فأخرج البرقية وأخذ يحل رموز الشفرة
المعقدة . وعندما فرغ من ذلك أخيرا قراها جملة واحدة . فإذا
بها كالآتي :

— قسطنطين أندريادى عاقبة المرض من ركوب السفينة من بيريه .
مد حالا الى جنيف وانتظر التعليمات

أصرخ أشنندن بصوت مكتوم :

— ايها الاحمق ! لقد قتلت رجلا لا جريمة له !



الفصل السابع

رحلة إلى باريس

وكان من عادة أشنندن أن يؤكد دوما أنه لا يعرف السام . ومن آرائه أن من يسام من الناس إنما هم الذين ليست في نفوسهم مصادر للمعرفة أو الاهتمام أو الاستمتاع . والاعتياء هم الذين كل اعتمادهم في التسلية والاستمتاع على العالم الخارجي

ولم تكن لدى أشنندن أوهايم عن نفسه ، وما أوتيه من نجاح في عالم الأدب لم يحدث برأسه دوارا . فكان يفرق بدقة بين الشهرة ذات الجذور والاساس وبين الشهرة السهلة التي توافى مؤلف رواية ناجحة أو مسرحية موفقة . وهذا النوع الأخير من الشهرة لم يكن أشنندن يكثر له إلا بمقدار ما يفيء عليه من امتيازات أو منافع ملموسة . فهو مستعد تمام الاستعداد أن يستفيد من اسمه الدلّيع كي يحصل على قمرة فوق سطح السفينة أفضل من القمرة التي دفع أجرها . وإذا اتفق أن ضابط الجمر كاجاز حقائب أشنندن من غير أن يفتحها لانه قرأ له قصصه القصيرة ، فهو حري أن يقر بأن ممارسة الأدب لا تخلو من عائد نافع . ولكنه كان يتنهد وهو يحس بضيق صدره حينما يلح عليه شباب طلاب الفنون التمثيلية كي يناقشوا معه حرفة التأليف المسرحي . وكذلك حينما تهمس العجائز القبيحات من النساء في أذنه بأعجابهن الشديد بكتبه وكان يتمنى في أعماق نفسه لو مات

وكان أشنندن يعتقد في نفسه الذكاء . فكان من السخف مع هذا الاعتقاد أن يسلم نفسه للسام . . والواقع أنه كانت لديه القدرة على الحديث إلى أشخاص لهم شهرة مستفيضة بالقباء ونقل الظل ، حتى أن الناس يهربون من مجالستهم كأنهم من الدائنين . فمثل هؤلاء

الناس هم المادة الخام التي يصوغ منها شخصياته الروائية . ولديه الآن كل شيء يطمح اليه الرجل العاقل كي يجد التسلية العقلية . فتحت تصرفه غرف لطيفة في فندق من أجود فنادق جنيف ، وجنيف من الطف المدن التي تطيب فيها الإقامة في أوروبا قاطنة

ومن عادة أشندن ان يستاجر زورقا للتجديف فوق مياه البحيرة أو حصانا يركبه للسير البطيء . ففي هذه المدينة الانيقة لا توجد مساحات من الأرض مكنونة بالعشب يستطيع المرء فيها ان يجرى بجواد راكض . وفي أحيان أخرى كان يتجول راجلا في الشوارع القديمة ، ويحاول ان ينفذ ، وهو بين تلك البيوت الحجرية الرمادية الهائلة الوقور ، الى روح العصر الغابر الذي بنيت فيه . وكان يقرأ ايضا في تلك المدينة مرة بعد أخرى اعترافات روسو الرائعة . وحاول عبثا أكثر من مرة أن يتم قراءة روايته المشهورة . إلويز الجديدة . وبين حين وحين كان يكتب صفحات متفرقة . اما الناس فكان لا يختلط بهم كثيرا . فمهنته الراهنة لا تخول له التعرف الى عدد كبير منهم . ولكنه على صلات سطحية بعدد قليل من نزلاء الفندق في الحدود التي تسمح له بتبادل الحديث السطحي العابر ، كي لا يشعر بالمرلة التامة . وهكذا كانت حياته حافلة بما فيه الكفاية ، غير خالية من التنوع ، وفي الاوقات التي لا يجد فيها ما يفعله كان يلوذ بأفكاره وخواطره الخاصة فيجد في ذلك سلاة غير قليلة

فمن العبث اذن أن يظن ظان أن أشندن كان أفريسة للسام والملل . فكان يكفيه مثلا وهو يركض بجواده حرم مدينة جنيف أن يتذكر سحنة رؤسائه في ادارة المخابرات السرية ، ويتسلى على حسابهم ، ولو على سبيل الانتقام . فمن العدل ان نعترف أن أولئك الرؤساء يستمتعون بتحريك جهاز المخابرة الضخم ، ويشاهدون النتائج المثيرة ، ويطلعون على التحركات والتيارات الخفية التي تشبه لعبة شطرنج هائلة . في حين يشقى المرء وسون من الجواسيس والعلاء أمثال أشندن بتنفيذ خطوات جزئية لا يتاح لهم في الغالب فهم شيء عن أسبابها ، أو الاطلاع على شيء من كنهها . وكانهم آلات صماء تتحرك بغير شعور أو ادراك أو دمي خشبية

ينفذ بها اغراضه . مما يجعل التيقظ ينسب في الاعماق عن غير قصد

والحقيقة ان نظام اشندن اليومى فى العمل كان رتبا متشابهة حياة مستخدمى المكاتب . فكان يقابل الجواسيس الذين يعملون تحت اشرافه فى فترات مرسومه بدقة ويسلمهم رواتبهم

وعندما ينق له ان يقع على عنصر صالح للجاسوسية كان يستخدمه ويصدر اليه تعليماته ، ثم يعث به الى المانيا ، وينتظر . يمكن ان يرسله من المعلومات ، فيتولى توصيلها الى القيادة العامة . وكان يعبر الحدود مرة واحدة كل اسبوع ليتباحث مع يله مدير الجاسوسية فى فرنسا ، ويتسلم منه تعليمات لندن

اما سوق جنيف فكان يذهب اليه يوميا ، ليغلى ذهابه فى يوم لسوق الاسبوعى كى يقابل بائعة الزبد ويسلم منها اية رسالة يمكن ان تاتيها بها عبر الحدود . وكان دائما مفتوح العينين والاذنين لكل همسة وكل حركة . ويكتب تقارير طويلة كان يظن ان احدا " يقرأها فى القيادة كما هو معهود فى المكاتب الحكومية " الى ان جاءه ات يوم توبىخ على بعض عبارات هازلة وردت فى غضسون احسد اريبه ..

ومن بين اسباب التسلية التى حاول ان يرفه بها عن نفسه ، وتخفف من رتابة عمله المتشابهة فى الجنيف ، ان فكر ذات يوم فى مغازلة البارونة فون هيجنز . . فهو الآن واثق من انها جاسوسة فى خدمة الحكومة النمساوية . ولذا كان يتوقع ان يسفر الصراع الماكر بينهما من لذة متيرة . فمن المسلمى ولا شك ان يلتحم ذكاؤه بذكاها فى مناورة . وكان على يقين من أنها ستحرص على نصب الفخاخ له باستمرار ، ومما لاشك فيه ان روغانه من تلك الفخاخ سيكون له نشاطا ذهنيا ينفض الصدا عن عقله . ووجد لديها استعدادا لتلك اللعبة الناعقة ، فكلما أرسل اليها باقة من الازهار بعثت اليه بكلمة رقيقة

واقدم بعد ذلك على دعوتها الى نزهة فى قارب بالمجاديف على متن البحيرة ، فلبت طلبه واسترخت فى القارب الصغير وادلت ذراعها البيضاء العارية الطويلة المشوقة بحيث انغمست اناملها البضة فى

الماء واخذت تحدثه عن الحب حديثا لمحت فيه تلميحا الى قلبها المحطم . وتناولوا العشاء بعد ذلك معا ، ثم توجهوا لمشاهدة تمثيل باللغة الفرنسية نثرا لرواية دوميو وجولييت ...

ولم يكن اشندن قد استقر رايه بعد على المدى الذي يبلغه في علاقته بهذه البارونة عندما جاءته رسالة ذات لهجة حادة من الكولونيل ، يستفسره عن هدفه من تلك اللعبة ، لان المعلومات قد وصلت اليه الرئاسة بان اشندن يكثر من الاختلاط بامرأة تدعو نفسها البارونة هيجنز وهي في الواقع جاسوسة لدول المحور . والله من غير المرغوب فيه ان تكون لاشندن بها اية علاقات سوى علاقات المجاملة في حدها الأدنى !

وهو اشندن كتغيه استخفافا وقد أدرك ان الكولونيل لا يحسن الظن به ، كما يحسن هو الظن بنفسه . ولكنه ايقن بعد ذلك من صدق الظن الذي ذهب اليه من قبل من وجود شخص ما في مدينة جنيف مكلف من قبل الكولونيل بمراقبة حركاته وسكناته ورفع التقارير عنه الى رؤسائه ، للتأكد من انه لا يعمل في اداء واجباته ولا يتورط في المزايا . وكان هذا مما زاد في تسلية اشندن ، كانه مشترك في لعبة استخفاء ضخمة . وزاد اعجابه بالكولونيل الباهية الذي لا يترك شيئا للمصادفات ولا يثق بأى شخص ثقة كاملة . ان الناس في نظر هذا الكولونيل ادوات يستخدمها في أغراضه ، من غير ان يحاول تحديد قيمة لهذه الاداة او تلك

وجعل اشندن يستعرض في مخيلته الاشخاص المحيطين به عسى ان يعرف على وجه التحديد من هو ذلك الشخص الذى وشى به عند الكولونيل . ورجع عنده ان هذا الشخص أحد سقاة الفندق وخدمه . فهو يعمد الكولونيل ميالا لاستخدام خدم الفنادق في التجسس . ولا عجب ! فطبيعة عملهم تسمح لهم برؤية الكثير وسماع الكثير بحكم وجودهم في مواطن التقاء النزلاء والقرباء

ثم خطر له بعد ذلك انه ليس من المستبعد ان يكون الكولونيل قد حصل على تلك المعلومات من البارونة نفسها ، فليس من المستبعد بعد كل شيء ان تكون في خدمة احدى دول الحلفاء . فالكثيرون ياكلون على المائدة في زمن الحرب

وعلى كل حال فقد استمر أشندن في علاقة المجاملة المهذبة تجاه البارونة . ولكنه كف عن التودد إليها

و ذات يوم عاد أشندن من نزهته على ظهر جواده ، ودخل الفندق فوجد لدى موظف الاستقبال برقية هذا نصها :

« العمة ماجى مريضة ومقيمة بفندق لوتي بباريس . أرجوك اذا أمكن أن تذهب لزيارتها - ريموند »

وكان اسم ريموند من الاسماء المستعارة التي يؤثر الكولونيل استخدامها . ولما كان أشندن ليست له عمة بهذا الاسم ، فقد أدرك أن الكولونيل يأمره بالتوجه الى هذا الفندق في باريس . وكان يعرف أن الكولونيل حين يكون منشراح الصدر يستخدم أساليب الروايات البوليسية الرخيصة . ومعنى أن الكولونيل في حالة نفسية جيدة أنه مثاهب لتسديد ضربة جديدة . أما بعد اتمام الضربة فانه يكون في حالة نفسية سيئة تترك آثارها على تصرفاته مع مرعوسيه

ووضع أشندن البرقية باهمال مقصود فوق المكتب ثم سأل موظف الاستقبال عن موعد القطار السريع المتجه الى باريس . ثم نظر الى ساعته ليرى هل أمامه متسع من الوقت للتوجه الى القنصلية قبل مواعيد الإغلاق كي يحصل على تأشيرة الدخول

وبينما هو يصعد السلم ليحضر جواز سفره من حجراته قال له عامل الاستقبال :

- لقد ترك السيد برقيته

- ما أقباني !

وهكذا صار من المؤكد لدى أشندن أنه في حالة تساؤل البارونة عن سبب سفره المفاجيء الى باريس قد تعلم أن موضح قريبته هو السبب . ومن المستحسن في زمن الحرب أن يعتبر الإنسان كل من حوله جواسيس ، ولا سيما موظفو الفنادق

وكان معروفًا في القنصلية الفرنسية ، فلم يستغرق وقتًا طويلا في الحصول على تأشيرة الدخول . ثم طلب من عامل الاستقبال في الفندق أن يحصل له على تذكرة في القطار السريع ، وصعد الى حجراته ليستحم ويبدل ثيابه وهو مسرور بالذهاب الى باريس ، ولأنه يحب تلك الرحلة في القطار السريع ما بين جنيف والعاصمة الفرنسية .

ثم انه من الاشخاص الذين يستطيعون السوم في عربات التسوم بالمطارات . واذا أيقظه الرقوف المفاجيء في احدى المحطات يلد له ان بدخن سيجارة في الظلام مستطيبا تلك الوحدة . واذا استيقظ على ضجة القطار اصغى لصوت العجلات ، وهدير البخار ، وورد بخواطره وأفكاره ، وخيل اليه ان القطار في جوف الليل شهاب يشق اجواز الفضاء الى مصير مجهول

وعندما وصل اشندن الى باريس كان الجو باردا والمطر يسقط رذاذا ، وشعر بحاحته الى حلاقة ذقنه ثم الاستحمام وبديل ثيابه . ولكنه آثر ان يتصل من المحطة تليفونيا بالكولونيل ويساله :

— كيف صحة العمة ماجي الآن ؟

واجابه صوت الكولونيل والضحك يعترض كلماته :

— يسرنى ان ارى عواطفك نحوها تدفعك الى الحضور بغير ابطاء . فحالتها في تأخر شديد . وان كنت واثقا انه سوف يسرها ويفيدها صحبا ان تراك

— ومتى تسمح لها ظروفها باستقبالى فيما تظن ؟

فضحك الكولونيل وقال :

— اعتقد انها ستكون حريصة على تمسيق زينتها قبل حضورك . فهي كما تعلم متعلقة دائما بمظهرها . فليكن اذن الموعد في منتصف الحادية عشرة . وبعد ان تجاذبها اطراف الحديث سيكون في وسعنا ان نخرج لتناول الغداء معا في مكان ما

— وهو كذلك ، احضر الى فندق لوتى في العاشرة والدقيقة الثلاثين

وعندما وصل اشندن الى الفندق وقد صار نظيفا انيقا مجددا النشاط ، استقبله جندي المراسلة الذى يلازم الكولونيل في البهو السفلى ، ثم صحبه الى جناح الكولونيل الخاص ، ففتح الباب وادخل اشندن . واذا بالكولونيل واقف وظهره مستند الى كتلة من الخشب مشتعلة في المدفأة ، يعلى على سكرتيره . فقال :

— اجلس

ثم واصل الاملاء . وكانت حجرة الجلوس حسنة الالام . وهناك مجموعة من الورد في زهرية ، مما يوحي بان النى رتبها بهذا الدوق

امراة مترفة . وفوق منضدة كبيرة كومة ضخمة من الاوراق . وكان الكولونيل يبدو اكبر سنا من آخر مره رآه فيها اشندن . وكان وجهه النحيل الاصفر احفل بالغضور والتجاعيد ، وسعره انسد بالشيب اشتعالا . وكانت وطأة العمل بادبة عليه فهو لم يكن يرحم نفسه او يدخر شيئا من طاقته . يستيقظ في السابعة صباحا كل يوم ويظل يعمل في داب الى ساعة متأخرة من الليل
واخيرا قال الكولونيل :

— هذا يكفي . وخذ معك كل هذه الاوراق واكتبها على الآلة .
فانى اريد أن أوقفها قبل أن أخرج للغداء
وقال للمراسلة أنه لا يريد أن يزعجه احد في خلوته بأشندن

وكان السكرتير ملازما ثانيا في الحلقة الثالثة من عمره . وكان واضحا أنه مدنى مجند بصفة مؤقتة . وجمع السكرتير كمية الاوراق وغادر الحجرة . وخرج وراءه لمراسلة . ولما صار اشندن والكولونيل وحدهما التفت الكولونيل اليه وقال :
— هل استمتعت برحلة طيبة ؟

— نعم ياسيدى

فأشار الكولونيل الى حجرة الجلوس من حوله وقال :

— وما رايك في هذا النظام ؟ لا بأس به . اليس كذلك ؟ وأنا لا ارى مانعا يمنع الناس من محاولة التخفيف من متاعب الحرب كلما أمكنهم ذلك

وكان الكولونيل أثناء هذه الثثرة يحدج اشندن تحديجا قويا . وكانت النظرة من عينيه الباهتتين توحيان اليك أنه ينظر الى عقلك عازيا ولا يعجبه ما يدور فيه ! ومن خصائص الكولونيل أنه في بعض الاحيان لا يكتفم اعتقاده بأن جميع افراد الجنس البشرى أما بلهاء واما اوغاد ... وكانت هذه إحدى العقبات الكثيرة التي تمنع الالفه بينه وبين الناس وتجعله لا يثق بهم . لانه في الغالب يفضل أن يسوى حسابه على اعتبار أن الناس جميعا اوغاد ، فذلك أدى للحرص وعدم خيبة الامل

والكولونيل جندى محترف قضى معظم مدة خدمته في الهند والمستعمرات . وعند اندلاع نيران الحرب كان معسكرا في جمايكا .

وتذكره واحد ممن تعاملوا معه من رجال وزارة الحرية فاخبره لادارة
المخابرات . وكانت كفاءته الفائقة سببا في سرعة ترقبه الى منصبه
الخطير . فهو والحق يقال ذو طاقة ضخمة على العمل وموهبة في
التنظيم مع شجاعة وعزم وجمود عاطفة

ولعله خال من مواطن الضعف سوى موطن واحد وهو انه لم
يخالف طول حياته من النساء على وجه الخصوص احدا من ذوات
الاقدار الاجتماعية المعتبرة . فكل من عرفهن طول حياته من النساء
هن زوجات رملانه الضباط وزوجات موظفي الحكومة وزوجات رجال
الاعمال . فلما جاء الى لندن في بداية الحرب واصبح في عمله الجديد
على صلة بنساء ممتازات لامعات حسناوات ، بهره ذلك فشمع
بالخجل والفضالة نحوهن . ولكنه استمر على صلاته الاجتماعية بهن
وصار من المولعين بالنساء . وكان اشندن يعرف عنه أكثر مما يخيل
اليه . ولذا كان لزهريه الورد الاحمر عنده مغزى واضح غير الذي
حاول الكولونيل ايهامه به من تخفيف وطأة الحرب

وكان اشندن يعلم تمام العلم ان الكولونيل لم يرسل اليه ليتحدث
عن الجو والمحصولات . وتساءل بينه وبين نفسه متى سيدخل
الكولونيل في الموضوع . ولم يطل تساؤه :

— لقد ابلت بلاء حسنا في جنيف

— يسرني انك ترى هذا الراى ياسيدى

وفجأة بدا الكولونيل قاسيا حازما ، لقد نفض يده من حديث
المجاملة

— عندى لك عمل يا اشندن

ولم يجب اشندن ولكن قلبه اختلج بالسرور . واستطرد
الكولونيل :

— هل سمعت عن شندرالال من قبل ؟

— كلا ياسيدى

وظهر نغاذ الصبر على جبين الكولونيل المقطب . لانه كان يتوقع من
مروسيه ان يعرفوا كل شيء يرغب في أن يعرفوه

— واين كنت تعيش بارجل طيلة هذه السنين ؟

— في رقم ٣٦ شارع شسترنفيلد بحى ماى فير !

فلاح شبح ابتسامة على وجه الكولونيل الاصفر . فقد كان يعجبه مثل ذلك الرد الساخر . واتجه الى المنضدة الكبيرة ، وفتح حقيبة اوراق كانت فوقها فاستخرج منها صورة فوتوغرافية قدمها الى اشندن :

— هذا هو شنذرالال

وبالنسبة لاشندن الذى لم يألّف رؤية الوجوه الشرّية كانت الصورة تبدو كاية صورة لاحد راجات الهند الذين يحضرون في زيارات موسمية الى لندن وتنشر صورهم في المجلات المصورة . فالوجه بدين ، والبنية مفرطة والثفتان ممتلئتان ، والانف كبير ، والشعر اسود غزير مستقيم . وعينه المفرطتان في السعة اشبه في الصورة يعينى البقرة ، وهو يبدو على غير سجيته في الثياب الاوروبية واعطى الكولونيل لاشندن صورة اخرى ، وهو يقول :

— وهذا هو في ثيابه القومية

وكانت الصورة الاخرى تمثله بطوله . اما الاولى فلا يظهر فيها الا الراس والكتفان . ويبدو انها كانت مصورة منذ بضع سنوات فهو فيها اتحف حتى ان عينيه الكبيرتين الجادتين جدا كادتتا يتبعان وجهه . والمصور الذى صنع الرسم هندي من كلكتا جعل وراء ظهر شنذرالال نخلة نابئة على شاطئ البحر . ووقف شنذرالال ويده متكئة على اصبع به ثياب المطاط . ومع هذا كان يبدو في عمامته الكبيرة وازاره الابيض الطويل رجلا مهيبا

وسال الكولونيل :

— ما رايك فيه ؟

— انه رجل لا يخلو من شخصية . فيه قوة ومضاء

— هاك الملف الخاص به . اقراء جيدا

وقدم الكولونيل الى اشندن صفتين مكتوبتين على الآلة الكاتبة فانصرف الى قراءتهما . ووضع الكولونيل نظارته فوق عينيه ، وشرع يتصفح الخطابات التى تنتظر توقيعهم

وتصفح اشندن التقرير بسرعة ثم أعاد تلاوته بمزيد من التمعن . ويبدو ان شنذرالال كان مهيجا من اخطر المهيجين . وحرقته الاسمية الحماة ، بيد انه احترف السياسة وصار من اعدى اعداء الحكم

الانجليزى فى الهند . وممن يؤمنون بضرورة استخدام القوة المسلحة وفى كثير من حوادث الشغب التى احدثت فيها اللعاء كان لشندرالال اصبع كبير . وقبض عليه مرة وحكم وادين وقضى فى السجن سنتين . فلما كانت بداية الحرب ، وكان قد اطلق سراحه ، انتهر القرصة وبدا يستعد للتمرد المسلح الصريح . ومنذ ذلك الوقت وهو فى قلب كل مؤامرة لاحراج الحكم الانجليزى فى الهند ، حتى يحصل ذلك بين انجلترا ونقل القوات من هناك الى ميدان الحرب فى أوروبا . وكان الالمان يقدون عليه مبالغ طائلة من المال ، مما يتيح له الانفاق على تلك المؤامرات والاضطرابات الواسعة المدى . وقد ثبت اشتراكه وتديره لاكثر من عملية نسف بالقنابل ، ازهقت فيها ارواح الابرياء من المارة واصيبت الممتلكات باضرار . وكان لها اثر كبير فى هز اعصاب الرأى العام وفساد الروح المعنوية . واستطاع شندرالال ان يفلت من جميع المحاولات التى بلدت لاقاء القبض عليه . وكان نشاطه هائلا ، يكثر من التنقل هنا وهناك ومع هذا عجزت الشرطة عن ايقاعه فى شباكه وهو عندما يؤلب الجماهير فى مدينة ما ، فانه لا يلبث ان يغادرها بعد ان يفرغ من مهمته بها

واخيرا رصدت جائزة كبرى للارشاد البه ففر من الهند الى امريكا . ومن هناك انتقل الى السويد ثم الى برلين . وفى برلين جعل هممه بدر بدور الشقاق بين القوات الهندية التى جىء بها الى أوروبا

كل ذلك ذكره التقرير بطريقة جافة من غير تعليق ان توضيح . ولكنك من خلال السطور تحس بروح الفموض والمغامرة والقدرة الخارقة على الافلات من المخاطر فى جراءة وجسارة . وجاء فى ختام التقرير ما يلى :

« وشندرالال له زوجة فى الهند وطفلان . وليست له علاقات نسائية ولا يدخن او يشرب الخمر ، ويقال انه أمين . وهو ذو شجاعة فائقة وجلد على العمل . ويقال انه شديد الاعتزاز بمحافظته على وعده »

ولما انتهى اشندن من التقرير اعاده الى الكولونيل فسأله :

— وما رايتك

— انه يبدو متعصبا جدا وشديد الخطورة

والواقع أن أشندن كان يرى في شخصية شندرالال كثيراً من عناصر الرومانتيكية الجذابة ، ولكنه كان حريصاً على عدم الإفراط بهذا إلى الكولونيل الذي لا يفقه تلك العواطف . وقال الكولونيل :

— الحقيقة يا أشندن أنه أخطر متآمر ضدنا داخل الهند وخارجها على السواء . وقد أوقع بنا من الخسائر أكثر مما أوقعه سائر الهنود مجتمعين . فانت تعلم أن هناك عصابة كبيرة من هؤلاء الهنود العصاة في برلين . ولكن هذا الرجل هو العصب المحرك لهم جميعاً . فان استطعنا أن نخرجه من الميدان لم تعد لهم أدنى أهمية لأنه الوحيد من بينهم الذي أوتى الذكاء . ولما الآن أكثر من سنة وأنا أحاول الإيقاع به . ولكن كنت أباأس من إمكان ذلك . إلى أن لاحظت لي الفرصة أخيراً . وسوف أنتهزها وأقبض عليه

— وماذا عساك تصنع به ؟

فضحك الكولونيل وقال :

— أطلق عليه الرصاص بلا إهمال !

ولم يجب أشندن . ونهض الكولونيل فجعل يلدع الحجرة مرة أو مرتين ثم وقف وظهره إلى المدفأة وواجه أشندن وعلى شفثيه التحفيتين ابتسامة ساخرة . وقال :

— هل لاحظت ما جاء في ختام التقرير الذي أطلعتك عليه من أنه ليست له علاقات نسائية ؟

— نعم

— كان هذا صحيحاً . ولكنه الآن غير صحيح . لقد وقع المفعل في الحب إلى أذنيه !

واتجه الكولونيل إلى حافظة الأوراق الموضوعية فوق المنضدة وأخرج منها حزمة مربوطة بشرط أزرق باهت من الخيزر ، وقال :

— انظر ! هاهي ذى خطاباته الفرامية . وأنت رجل تؤلف روايات . وقد يروق لك أن تطالعها . بل إنك في الواقع لابد أن تطالعها لأنها ستساعدك على معالجة الموقف . فخذ هذه الخطابات معك . وإن الإنسان ليعجب كيف يسمح رجل قدير ، مثل شندرالال ، لنفسه بالتدله في حب امرأة . أنها آخر ماكنت أتوقعه من تصرفاته

فرمق أشندن عندئذ الورد الموضوع في الزهرية فوق المنضدة ولم

يقبل شيئا . ولم تفت هذه النظرة عين الكولونيل الفاحصة فقطب وجهه ولكنه لم يقل شيئا . وعاد الى الموضوع :

— ليس من شأننا على كل حال أن نعلق على أفعاله . المهم أن شندرال يحب امرأة تسمى جوليا لازارى الى درجة الجنون — وهل تعلم كيف تعرف بها ؟

— طبعا أعرف كيف تعرف بها ! انها راقصة . تخصصت في الرقص الاسباني ولكنها ايطالية الجنسية . وقد اتخذت اسما فنيا لها هو « لاملاجونيا » . ولعلك تعلم ذلك النوع من الرقص على موسيقى اسبانية شعبية مع استعمال حرملة المصارعين الحمراء ومروحة ومشط عال . وقد ظلت ترقص في أرجاء أوروبا طيلة السنوات العشر الماضية
— وما مستواها ؟

— سيء جدا . كانت تعمل في انجلترا بملاهي الاقاليم ، ثم عملت بعض الوقت في لندن ولم يزد أجرها على عشرة جنيهات في الاسبوع . ولقد التقى بها شندرال في برلين حينما كانت تعمل في أحد الملاهي الرخيصة هناك . واءتقد أنها في جولاتها الأوروبية كانت تعتبر قيامها بالرقص مجرد وسيلة لرفع قيمتها وأجرها كمومس — ولكن كيف وصلت الى برلين في زمن الحرب ؟

— كانت متزوجة في وقت ما من اسباني . واءتقد أنها لم تزل مفعه ولكنهما لا يعيشان معا . فكانت تنتقل بجواز سفر اسباني يسمح لها بدخول دول المحور . ويبدو أن شندرال وقع في هواها من أول وهلة

وتعمن الكولونيل في الصورة الفوتوغرافية قليلا ثم استطرد :
— ما كان الانسان ليعتقد أن هناك اية جاذبية خاصة لذلك الزنجرى الدهنى التكوين . يا الهى ! ما اشد قابليتهم للبذانة ! ولكن مما لاشك فيه أن الفتاة أحبته مثلما أحبها . فتحت يدي صور خطاباتها اليه . اما الخطابات الاصلية فتحت يده . وأنا واثق انه يحتفظ بها مربوطة بشريط قرمزى ، انها مجتونة به . وأنا لست من رجال الأدب . ولكن اظننى أعرف رقة الصدق . وانت مستطالع هذه الخطابات على كل حال وتخبرنى بربك فيها . ومن العجب أن

الناس يقولون انه لا وجود لشيء اسمه الحب من أول نظرة
وابتسم الكولونيل في تهكم يسير . فقد كان بغير شك معتدل
المزاج هذا الصباح ... وساله اشندن :

— وكيف حصلت على كل هذه الخطابات الخصوصية ؟

— كيف حصلت عليها ؟ انها ايطالية المولد ، ولذلك كانت تطرد
بين حين وحين من المانيا الى الحدود الهولندية . ولما كانت لديها
مقود للرقص في انجلترا فقد سمحنا لها بدخول بريطانيا . وعلى
هذا الاساس ابحت في ٢٤ أكتوبر الماضي من روتردام الى هارويتش
ورقصت في ملاهى لندن وبرمنجهام وبورتسموث وغيرها .
قيض عليها منذ اسبوعين في مدينة هل

— وما السبب ؟

— الجاسوسية . ثم نقلت من هل الى لندن وقد توجهت بنفسى
فقابلتها في سجن هولواى

وببادل اشندن والكولونيل النظرات برهة من غير أن يتكلما .
ولعل كلا منهما كان يحاول بكل جهده ان يقرأ انكار الآخر . وكان
اشندن يتساءل عن مدى الصدق في كلمات الكولونيل . ولذا ساله :

— ولكن كيف توصلتم الى كشف حقيقتها ؟

— لقد تراعى لى انه من الغريب حقا أن يسمح لها بالالان بالرقص
في امان مدة اسابيع متوالية في برلين ، ثم فجأة ومن غير سبب ظاهر
يقرون اخراجها من البلاد . ان ذلك يبدو تمهيدا جيدا لقياسها
بالتجسس . ولا سيما لان الراقصة التى لا تحلص كثيرا على عفتها
يمكن ان تصل اليها معلومات ثمينة تدفع برلين فيها ثمننا عاليا .
فلما طلبت الاذن بدخول انجلترا رأيت أن اسمح لها بالحضور كي
تبين ماذا وراءها بالضبط . وابتعيت عينى عليها ، فاكتشفت انها
كانت ترسل خطابات الى عنوان ما في هواندا مرتين او ثلاثا كل
اسبوع . ومرتين او ثلاثا كل اسبوع كانت تتلقى ردودا من هولندا
وكانت رسائلها مكتوبة بخليط عجيب من الفرنسية والالمانية
والانجليزية . فهى تتكلم الانجليزية بصعوبة وعلى ثلة . ولكنها
تتكلم الفرنسية بطلاقة . اما الردود فكانت مكتوبة كلها بالانجليزية .
وبانجليزية مينة التركيب . ولكنها ليست انجليزية رجل انجليزى

فهى ذات أسلوب زخرفى يعميل للجزالة والمغامة . فكننت اتساءل من عساه يكون كاتب هذه الخطابات . وكانت الخطابات فى مظهرها رسائل غرام عادية ولكنها من النوع الشديد السخونة . وكان واضحا جدا انها مرسلة من المانيا ، وأن الكاتب ليس انجليزيا ولا فرنسيا ولا المانيا . فلماذا اذن يكتب بهذه الانجليزية ؟ أن الاجانب الوحيدين اللذين يعرفون الانجليزية خا من معرفتهم لاي لغة اوروبية اخرى هم المشارقة وخاصة الهنود . وهكذا خلصت الى أن حبيب جوليا أحد أفراد العصاة الهندية التى تدبر الشغب فى برلين . ولم يخطر ببالي أنه شندرالال بنفسه الا عندما عثرت على الصورة الفوتوغرافية - وكيف حصلت على هذه الصورة ؟

- كانت تحملها معها اينما ذهبت ، وتحفظ بها فى حقيبتها المعلقة مع مجموعة كبيرة من الصور المسرحية لمغنيين ومهرجين ولاعبى السرك . فكان من الممكن جدا أن يظن الناظر أن تلك الصورة لاحد الفنانين فى ثياب التمثيل . والواقع أننا عندما قبضنا عليها فيما بعد واصلناها من صاحب الصورة قالت انها لا تعرفه . وأنه مراف هندي اعطاها اياها وليست لديها اية فكرة من اسمه . وكنت قد نديت لهذه المهمة فتى اوريا فطنا . وقع لديه موقع الغرابة ان تكون هذه هى الصورة الوحيدة فى المجموعة التى صنعت فى كلكتا . ووجد على ظهرها رقما فأخذ الرقم فى مفكره واعاد الصورة الى الحقيبة كما كانت

- ولكن كيف استطاع فتاك الاريب أن تصل يده الى الصورة ؟

فومضت عينا الكولونيل وقال :

- ليس هذا من شأنك . ولكنى لا أرى مانعا من التصريح لك ، بأنه كان فتى ونسيما عقد معها صلة غرامية ، واخذت تطلع على تذكاراتها . والمهم أننا عندما حصلنا على رقم الصورة ابرقنا الى كلكتا فجاءنا الرد بأن عتيق جوليا هو شندرالال الذى كنا نظنه فتى الصفحة . وبعدها شددت الرقابة على جوليا ، فلاحظت انها تبدى ميلا خاصا لفئة ضباط البحرية . وأنا شخصا لا ألومها على ذلك لان ضباط البحرية فيهم جاذبية . ولكن ليس من الحكمة أن تترك ذوات العفة الجريحة والجنسية المريية يختلطن بهم كثيرا فى زمن

الحرب . وفي زمن وجيز جمعت أدلة كثيرة ضدها

- وكيف كانت توصل معلوماتها الى الاعداء ؟

- لم تكن توصل معلوماتها الى الاعداء . ولم تحاول ذلك . لم تكن جاسوسة فالامان طردها من بلادهم فعلا . ولكنها كانت تعمل الحسب شندرالال شخصيا . وقد ربيت امرها بعد انتهاء عقد عملها في انجلترا ان تعود الى هولندا لتلتقى به هناك ، وتغضى اليه بكل ما جمعته من المعلومات . ولكنها لم تكن بارعة في عملها ، بل كانت عصبية . ولكن طبيعة مهنتها اتاحت لها جمع معلومات قيمة . وفي احدى رسائلها الى شندرالال قالت له بخليطها اللغوي العجيب « ادى الكثير لافضي به اليك يا حبيبي الصغير . مما يهكم كثيرا ان تعرفه » وكانت هذه الجملة الاخيرة بالفرنسية وقد وضعت تحتها خطا

وسكت الكولونيل قليلا وجعل يفرك يديه . وكان وجهه المجهد قد ارتسمت عليه امارات سرور شيطاني بدهائه ، ثم استطرد :

- وبطبيعة الحال لم يكن يهمنى امر تجسسها في قليل أو كثير لان همى كله كان موجها الى شندرالال . فبمجرد لقاء القبض عليها دبرت من القرائن ما يكفى لاعدام فرقة كاملة من الجواسيس

ووضع الكولونيل يديه في جيوبه وارسمت على شفتيه ابتسامة كالحة ، وهو يقول لى :

- وسجن هولواوى ليس جنة الفردوس كما تعلم

- لا اظن اى سجن يمكن ان يكون جنة الفردوس !

- ولا سيما هذا السجن بالذات . وقد اعطيت التعليمات اللازمة وتمركتها الى ان « نضجت » مدة اسبوع ، قبل ان ابعث في طلبها فوجدتها في حالة عصبية متداعية . واخبرتنى السجانة انها اصببت ثوبت هسترية عنيفة معظم الوقت . فلا عجب ان بدت كالشبح ،

3

- اهى جميلة ؟

- سترها بنفسك . وهى على كل حال ليست من النوع الذى يروق لى شخصا . واظنها تكون اجمل منظرا عندما تتم زينتها وتضع المساحيق على وجهها . وقد خاطبتها بكل قسوة وانزلت بها الرعب الجهنمى . وهى بطبيعة الحال نفت كل شيء . ولكن الادلة

كانت تحت يدي . وقد أفهمها جيدا انه لا نجاة لها من العقوبة الصارمة . وقضيت معها ثلاث ساعات انتهت بانها يراها أمامي فاعترفت بكل شيء . وعندئذ وعدتها بإخلاء سبيلها اذا استدرجت شندرال الى الاراضي الفرنسية . فرفضت على الفور رفضا بانا ، وقالت انها تفضل الموت على ذلك . وتشنجت اعصابها فتركها تهرف ، ثم قلت لها اني سأتركها لتخلو الى نفسها وتفكر في اقتراحى مدة يومين . ولكنى تعددت ان اتركها أسبوعا بأكمله . فلما دعوتها لمقابلتى ، وجدها مستعدة لتنفيذ ما طلبته منها بغير مناقشة . فافهمتها كل شيء بغاية الوضوح ، وقبلت بلا معارضة

— لم أفهم بالضبط ما ترمى اليه

— حقا ؟ انهن المسألة من أوضح ما يكون لأقل الناس ذكاء . فلو انها استطاعت أن تستدراج شندرال كي يعبر الحدود السويسرية الى فرنسا فاني سأطلق سراحها وأوصلها بأمان الى حدود اسبانيا او الى أمريكا الجنوبية على حسابنا الخاص

— ولكن كيف بحق الشيطان يمكن أن تستدراج شندرال للحضور ؟

— انه مجنون بحبها ، وفي اشد الشوق للقاءها . وخطاباته اليها كما ترى تنم عن شغف جنونى . وقد جعلتها تكتب اليه قائلة انه تعذر عليها الحصول على تأشيرة دخول الى هولندا ، حيث كان مقررا ان تقابله . ولكنها تستطيع الحصول على تأشيرة دخول الى سويسرا . وسويسرا بلد محايد يستطيع ان يأمن فيه على نفسه . وقد تلقف هذه الفرصة وأرسل بعدها باللقاء في لوزان

— وبعد ؟

— وعندما يصل الى لوزان سيجد خطابا منها تبغه ان السلطات الفرنسية رفضت أن تسمح لها باجتياز الحدود السويسرية . وأنها لهذا السبب قررت التوجه الى تونون وهى البلدة الفرنسية التى تقابل لوزان على شاطئ البحر . وبينهما خط مواصلات بالزوارق البخارية كما تعلم . وتطلب منه ان يوافيها هناك فى تونون

— وما الذى يحدو بك الى الاعتقاد بأنه سيلبى رغبتها ؟

نسكت الكولونيل برهة ثم نظر الى اشندن باسما ، وقال -
يجب ان تحمله على الحضور الى هناك اذا كانت رغبة حقاً
في الافلات من عقوبة الاشغال الشاقة الموبدة
- فهمت !

- انها ستصل من انجلترا هذا المساء تحت الحراسة - واريد
منك ان تصحبها الى بلدة تونون في قطار الليل
فصاح اشندن قائلاً :

- انا ؟

- نعم انت . لاني اظن هذا العمل من الاعمال التي تصلح لها
جدا . فالمفروض انك روائي ، ولهذا تعرف عن الطبيعة البشرية
اكثر مما يعرف كثرة الناس . وسيكون من المتع لك ان تقضي
اسبوعا او اسبوعين في تونون . فهي مكان صغير جميل ومن الاماكن
السياحية الراقية في زمن السلم . وتستطيع ان تستمتع هناك
بالاستحمام ؟

فقاطعه اشندن قائلاً :

- وماذا تريد مني، ان اصنع عندما اصل مع هذه السيدة الى
تونون ، فيما عدا الاستحمام طبعاً ؟
- اني اترك يدك مطلقة في التصرف . وكل ما هناك اني سجلت
بضع ملاحظات قد تكون ذات فائدة لك في مهمتك . فهل اتلوها
عليك ؟

واصغى اشندن بانتباه شديد . وكانت خطة الكولونيل سهلة
واضحة . فلم يسع اشندن سوى الشعور مرغماً بالاعجاب بالعقل
الماكر الذي دبر هذا التدبير المحكم

وبعد الانتهاء من التلاوة اقترح الكولونيل ان يخرجوا معا لتناول
الغداء . وطلب من اشندن ان يأخذه الى مكان يستطيعان فيه
مشاهدة البارزين في الهيئة الاجتماعية

وراق لاشندن ان يرى الكولونيل الصارم الحازم في عمله ، يبدو
مرتبكاً خجولاً في المطعم الفاخر . ثم يتكلم بصوت اعلی مما ينبغي
قليلاً ، ليحاول الظهور بمظهر من هو على سجيته
ان حركاته كشفت لاشندن مدى الحياة الضيقة المتواضعة التي

عاشها الكولونيل الى ان رفعتة مقدرات الحرب الى هذه المكانة الخطيرة . وبدأ عليه السرور العميق لوجوده في ذلك المطعم الانيق ملاصقا لاصحاب المجد ، واصحاب الاسماء الشهيرة في العاصمة الفرنسية . ولكنه كان كالتلميذ المراهق في اول بنطلون طويل يرتديه . واغضى امام عيسى كبير السقاة الهراقتين ، وراحت نظراته تجوب أرجاء المطعم بعد ذلك في اغتباط وزهو لا يخلو من خجل يسير

واسترعى اشندن انتباهه الى امرأة قبيحة ترتدى ثوبا اسود ولكنها ذات قوام جميل وتزين نحرها بعقد طويل من اللآلئ ، وقال له :

— هذه مدام دبريد . عشيقة الفرانديك تيدور . ولعلها من اعظم النساء نفوذا في أوروبا . وهى يقينا من ادهاين ونظر اليها الكولونيل قليلا ثم احمر وجهه وقال :

— هذه هى الحياة وايم الحق !

ورمقه اشندن صامتا . فالترف شيء خطير التأثير على من لم يالفوه . ان اغراءه شديد على من يفاجأون به . فهاهو ذا الكولونيل الحصيف الداهية وقد سلب له هذا المنظر البراق الذى امامه ويعد ان فرقا من تناول غدائهما ، وشرعا بشراب القهوة وقد ارتسمت علامات الرضا التام على وجه الكولونيل ، عاد اشندن الى الموضوع :

— هذا الهندي لايد انه شخصية ممتازة ؟

— انه ذكى العقل طيعا

— ان الانسان لايمكن ان يخلو من الاعجاب برجل استطاع ان يتعصب في شجاعة وبمفرده تقريبا السلطة البريطانية في الهند

فقال الكولونيل بلهجة قاطعة :

— لو كنت في مكانك اا اضغيت عليه شيئا من عواطفى . فهو في الواقع ليس سوى مجرم خطير . انه كان يستخدم القنابل الزمنية في ارهاق ارواح بريئة

فقال اشندن :

— لا اظن انه كان يعتمد الى استخدام القنابل الزمنية او غير

الزمنبة لو كان تحت يده بضعة الوية . ان الرجل يستخدم الاسلحة الى تناح له . ولا اخالك نعيب عليه ذلك ، ولا سيما انه بعد كل حساب لا يرمى الى هدف شخصي . اليس كذلك ؟ انه يرمى الى تحرير وطنه . وكل جريته اننا نحل ذلك الوطن . فكل شيء يدل على ان له في تصرفاته نحونا ما يبررها تبريرا قويا

وكانما كان اشندن يتكلم لغة صبية ! فقد قال الكولونيل :

— هذا نخريج فيه تعسف شديد للامور . وهذه على كل حال موضوعات لا تستطيع ان نخوض فيها . ومهمتنا ان نضع يدنا عليه . ومتى تم لنا ذلك تقتله رميا بالرصاص

فلم يسع اشندن الا ان يقول :

— طبعا طبعا . لقد اعلن علينا الحرب ويجب ان يتحمل تبعه ذلك . وانا من جهتي سأنفذ تعليماتك بدقة . هذا هو واجبي . ولكن لا ارى مانعا مع ذلك من الاعجاب بالرجل واحترامه فنظر الكولونيل الى اشندن وقد عادت اليه صرامته وحزمه وقال :

— لست واثقا ابهما اصلح لهذا الطراز من المهام . اهو الرجل الذي يفعل بما يمارسه من عمل ، ام الذي لا تتحرك عواطفه بشيء . وهناك من يشقى غليلهم الايقاع بأحد أعداء الوطن ، كأنها خدمة شخصية اديت لهم أو ثار شخصي اخذوه . ومثل هؤلاء يؤدون عملهم بحماسة ، أما انت فالمسألة في نظرك لا تعدو لعبة رياضية ، أو مباراة شطرنج من غير حقد على الأعداء والخصوم . بل ومع الاعجاب بهم أحيانا . ولكن طرازك يصلح لمهام معينة أكثر من سواها

ولم يجب اشندن ، ودفع حساب الغداء ثم افل راجعا مع الكولونيل الى الفندق



الفصل الثامن

جوليا

كان موعد انطلاق القطار في الساعة الثامنة . فلما فرغ اشندن من ترتيب حقائبه أخذ يذرع افريز المحطة . ووجد جوليا لازاري في احدى عربات القطار . ولكنها كانت جالسة في ركن مشيخة عن مسقط الضوء فلم يستطع ان يتبين وجهها . وكانت في حراسة اثنين من رجال البوليس السرى الفرنسى ، تسلمها من رجال البوليس الانجليزى في بولونيا ، وكان احد الشرطيين قد عمل مع اشندن في منطقة الحدود الفرنسية المشرقة على بحيرة جنيف . فآوآ لاشندن بالتحية ثم قال

— سألت السيدة ان كانت تحب ان تتناول العشاء في عربة الطعام ولكنها فضلت ان تتناوله هنا ولهذا طلبت من عربة الطعام اعداد سلة للعشاء . فهل هذا الاجراء صائب ؟

— نعم

— وستتناوب انا وزميلي الذهاب الى عربة الطعام بحيث لابقى السيدة وحدها . . .

— احسنت . وسأحضر من عربتي بعد فيام القطار لاجازتها اطراف الحديث قليلا

فقال المخبر :

— انها ليست مستعدة تماما للانطلاق في الكلام

— لست اتوقع منها ذلك الاستعداد

وانصرف اشندن فتناول طعامه . وكانت جوليا لازاري تختتم طعامها عندما عاد اليها . وينظرة خاطفة الى سلة اقطاع ادرك ان شهيتها للطعام لم تكن ضئيلة للغاية . وآوآ اشندن الى المخبر

الذى فتح الباب فتركهما وحدهما

ورمقته جوليا بنظرة شغراء . فقال وهو يجلس قبالتها :
- أرجو أن يكونوا قد أحضروا لك كل ماطلبت من ألوان الطعام ؟
فأحنت رأسها ولم تتكلم . فأخرج علبة سجاجثره وقال لها :
- ألك في سبجارة ؟

فألقت عليه نظرة لم تظهر عليها التردد ، وبعد ذلك تناولت
سبجارتها ، وانتهر الفرصة لينظر الى وجهها في ضوء التقاب .
ولستولت عليه الدهشة . فهو لسبب ما كان يتوقع أن يجدها
شغراء . ولعل ذلك لاعتقاد سابق لديه أن المشاركة أجرى أن
تستهويهن الشقراوات . ولكنها سمراء داكنة تقريبا . وشعرها
تخفيه قبعة ضيقة ، ولكن عينيها سوداوان كأنهما قطعتان من
الفحم الحجري . ولم تكن صغيرة السن . فلعلها كانت في الخامسة
والثلاثين . وبشرتها كثيرة الغضون كالحة . كما كان وجهها خاليا
تماما من المساحيق ، فبدت في منظر متهدم ، ولم يكن في مراها
شيء جميل سوى عينيها الرائعتين

وكان جسمها ضخما بحيث ظن أشندن أنها لايمكن أن تؤدي
بهذا الجسم رقصاتها في رشاقة . ولاسيما اذا ارتدت ثياب الرقص
الاسبانية . ولكن لعل أضواء المسرح ، ولياب الرقص الزاهية ،
تضفى عليها شيئا من الفتنة . أما وهى على هذه الحالة في القطار ،
فلايتمكن أن يتصور المرء سر هيام ذلك الثائر الهندي بها . . .

وعلى ضوء التقاب رمقت أشندن بنظرة تحاول بها سبر غوره .
فهى بغير شك كانت تتسائل فيما بينها وبين نفسها أى طراز من
الرجال عساه يكون

ونفت سحابة من الدخان من أنفها ، وأخذت تتابع تلك السحابة
بنظراتها برهة ، ثم ردت بصرها الى أشندن . واستطاع أن يفعل
الى أن هدووها ليسي الا قنصا . وإنها في الواقع كانت متوترة
الاعصاب مرتاعة . وكانت تتكلم الفرنسية بلهجة إيطالية . قالت :
- من أنت ؟

- اسمى لايمنى شيئا بالنسبة لك ياسيدتى . حسبك أن تعلمي

اننى ذاهب الى تونون . وقد حجزت لك غرفة في فندق لابلاس .
وهو الفندق الوحيد الذى يفتح ابوابه هناك في هذا الفصل من
الليلة . واعتقد أنك ستنجدين الإقامة فيه مريحة
— اه ! انت اذن الذى حدثنى الكولونيل عيك . انت سجانى
— من الناحية الشكلية فقط ، وإن انتعل عليك
— انت سجانى على كل حال ...
— وارجو على كل حال الا يدوم ذلك مدة طويلة . فانى احمل
في جيبى جواز سفرى وقد استكملت فيه جميع الاجراءات
الشكلية والرسمية للسماح لك بالسفر الى اسبانيا
فالتت بنفسها الى ركن العربة ، وظهر على وجهها الشاسع
وعينيها السوداوين الكبيرتين مستهى اليأس ، ثم قالت :
— هذا شيء فظيع ، واظننى كنتناموت سعيدة لو اننى استطعت
أن اقتل ذلك الكولونيل العجوز . انه رجل بلا قلب . ما اشقانى
— اخشى ان تكونى قد اوقعت نفسك في مازق شديد الحرج .
الم تكونى تعلمين ان الجاسوسية لعبة خطيرة ؟
— انى لم ابغ اى سر من اسراركم . لم ارتكب سوءا
— وذلك يقينا لانه لم نتح لك الفرصة . وانت فيما فهمت قد
وقعت على اعتراف كامل معص
وكان اشندن يتحدث البها بآرق ما يستطيع من عبارة ، وكأنه
الى حد ما يتحدث الى شخص مريض . فلم تكن في صوته أدنى
خشونة
— أجل كنت مغفلة الى حد كبير فكتبت الخطاب الذى حملنى
الكولونيل على كتابته . فلماذا لا يكتفى بذلك ؟ ما الذى يحدث لى
ان لم يجب ؟ انا لا استطيع ان اكرهه على الحضور ان كان لا يريد
ان يحضر
فقال لها اشندن :
— لقد وصل رده بالفعل . وأنا أحمله معى
فأحفظ واضطرب صوتها وقالت :
— اه . ارنى جوابه . اتوسل اليك ان تدعى اطلع عليه
— ليس عندى مانع من ذلك . ولكن يجب ان تعيده الى بعد
تلاوته

— أعدك بذلك

وأخرج خطاب شندرالال من جيبيه وأعطاه إياه . فاختطفته من يده أخطافا والتهمة بعينها . وكان نماني صفحات . وأخذت الدموع وهى تقرا تنهمر على وجنيتها . وفيما بين شهقاتها وزفراتها كانت تنعم بمبارات الحب ، وتنادى الكاتب بأعذب أسماء التذلل والتعجب بالفرنسية والإيطالية . وكان ذلك الخطاب هو الذى كتبه شندرالال ، ردا على خطابها الذى قالت له فيه بناء على تعليمات الكولونيل أنها ستقابلته فى سويسرا . فكاد يجن من الفرح بتلك الفرصة ، وعبر لها فى صفحات خطابه المنتهية عن بقاء الوقت وطوله عليه منذ افترقا ، وكيف كان يصبو إليها ، ويتحرق شوقا إلى رؤياها . والآن وقد تقرر أن يلتقى بها مرة أخرى قريبا فهو لا يدرى كيف سيتسنى له أن يتحمل الانتظار وقد عيل صبره وما أن أتمت تلاوة الخطاب حتى انفرجت أصابعها فسقط على الأرض ، وقالت فى يأس شديد :

— هانتا ترى كم يحبني . ألسنت ترى ذلك ؟ ما من شك فى هذا . صدقني فانا ذات خبرة فى هذا الأمر
وعندئذ سألها أشندن :

— وأنت ؟

— ماذا تعنى ؟

— وأنت هل تحبينه حقا ؟

— انه الرجل الوحيد الذى كان عطوفا على . وليست الحياة التى يحياها من يعملون فى الملاهى بالحياة المرحية المربحة . فهم يتنقلون فى جميع أرجاء أوروبا ، ولا يستقرون أبدا . والرجال الذين يترددون على تلك الأماكن ليسوا دائما من ذوى الرجولة . ولذا ظننت فى البداية أنه رجل كالأخرين من الرواد ...
والتقط أشندن الخطاب من على الأرض ووضعه فى جيبيه ثم قال لها :

— لقد أرسلنا باسمك برقية الى العنوان المتفق عليه فى هولندا ، نخبره أنك ستكونين فى فندق جيبونز بمدينة لوزان فى اليوم الرابع عشر

فقلت جوليا بدهشة :

- يعنى غدا

- بالضبط.

فرفعت رأسها ولمعت عينها وقالت :

- ما اقبح هذا الذي ترغموننى على فعله ارغاما . انه لشائن

- مامن احد يرمك على فعله

- واذا لم افعل ؟

فقال اشندن بهدوء تام :

- اخشى ما اخشاه انك ستضطرين لتحمل نتيجة ذلك

قصرخت :

- يعنى السجن ؟

- بالتأكيد

فاشدد صراخها :

- لا استطع ان اذهب الى السجن . لا استطع . لا استطع .

غير معقول ان افنى كل تلك السنوات في الاشغال الشاقة

- اذا كان الكولونيل قال لك انك ستعاقبن بالاشغال الشاقة

فثقى ان ذلك صحيح . انه امر غير مستحيل الحدوث

- انا اعرفه . اعرف هذا الوجه الذي ينطق بالقسوة . ان مثله

لا يعرف الرحمة . واذا خرجت بعد سنوات من السجن مع

الاشغال الشاقة ماذا يكون مصيرى ؟ ماذا يكون قد بقى منى ؟

كلا كلا

وفي هذه اللحظة وقف القطار في احدى المحطات وتقر على زجاج

الباب المخبر المنظر في الدهليز ، ففتح اشندن الباب فاعطاه الرجل

بطاقة بريد من النوع المصور . وكانت الصورة تمثل منظرا سخيفا

لمحطة بونتراييه على الحدود الفرنسية السويسرية . وقدم اليها

اشندن قلم رسامس قائلا :

- اكتبى هذه البطاقة الى جيبك ، وسنرسلها من مكتب بريد

بونتراييه . واجعلى العنوان على الفندق في لوژان

فرمته جوليا بنظرة قاسية ، ولكنها لم تتكلم وتناولت القلم

وكتبت ما املاه عليها . وختم الاملاء :

« لقد تأخرت على الحدود . ولكن اطمئن وانتظرنى فى لوزان »
ثم تناول منها بطاقة البريد وقراها ليطمئن على أنها كتبت
ما أملاه عليها حقاً ، ثم تناول قبعتها وقال :
- والآن أتركك . وأرجو أن تستطيعى النوم . وسأحضر فى
الصباح لأصحبك عندما نصل الى تونون
وكان المخبر الآخر قد عاد من تناول طعامه فلما خرج أشندن
من العربة دخل الرجلان وأنزوت جوليا فى ركنها . وأعطى أشندن
بطاقة البريد الى رسول كان ينتظر كى يحملها الى بونرلييه ،
واتجه أشندن على الأثر نحو عربة نومه
وكان الصباح منمسا صحوا رغم برودة الجو عندما وصلوا
الى وجههم وسلم أشندن حقائبه الى حمال وسار فوق الأفرز
الى حيث كانت جوليا لازارى واقفة بين المحبرين . وأوما أشندن
اليهما براسه :
- طاب صباحكما . لاجابة بكما الى الانتظار بعد
قرفعا قبعتيهما وودعا المرأة وانصرفا . فسالتة :
- الى اين هما ذاهبان ؟
- الى غير رجعة . سوف لا يضايقانك بعد الآن
- هل انا فى حراستك اذن ؟
- لست فى حراسة أحد . كل ماهناك انى سأسمع لنفسى
بمرافقتك الى فندقك ثم أتركك . لانه عليك أن تحاولى الحصول
على قسط من الراحة
وحمل أشندن حقائبها ثم خرج الانسان من المحطة . وكانت
هناك عربة فى انتظارهما ، فطلب منها أشندن بكل ادب أن تتركها .
وكانت الرحلة الى الفندق طويلة شيئا ما . وبين الحين والحين
كان يشعر بانها ترمقه بنظرة جانبية ، رغم أنها كانت بادية الحيرة
اما أشندن فجلس صامتا لا ينطق بكلمة . ولما وصلا الى الفندق
الصغير القائم وسط منظر بديع للغابة ، صحبهما المدير الى
الحجرة التى أعدت لنزول مدام لازارى . فقال له أشندن بعد
أن نفقدها :
- انها على مايرام . سأنزل بعد دقيقة

فانحنى مدير الفندق وانسحب وتركهما وحدهما . وعندئذ
قال اشندن :

— ساينل كل ماقى رسمى لتوفير أسباب الراحة لك ياسيدتى .
وفقى أنك هنا سيده نفسك ، ومن حقك ان تطلبى أى شىء تصبو
نفسك اليه . وانت فى نظر مدير الفندق نزيلة كاي نزيل آخر فى
الفندق . انت حرة تمام الحرية
فسألته بسرعة :

— وحررة ايضا فى الخروج ؟

— طبعا . لك ان تخرجى كما تشائين

فقالته متكهمة :

— وعلى كل جانب من جانبي شرطى فيما اعتقد !

— كلا . أنك حرة الحركات فى هذا الفندق كأنك فى منزلك تماما .
وحررة فى الخروج من الفندق والعودة اليه كلما راق لك ذلك .
واحب ان احصل منك على تأكيد إنك لن تكتبى خطابات بغير
علمى . ولا ان تحاولى مغادرة تونون من غير اذنى

فرمقت اشندن بنظرة طويلة ولم تستطع ان تسبر غوره ولا ان
تفهم سر هذا التيسير ، وبدا عليها كأنها فى حلم ، ثم قالت :

— انى فى موقف يرغبنى على تقديم جميع التاكيدات التى
تطلبها منى . ولذا اعدك وعد الشرف انى لن اكتب خطابا من غير
ان اطلعك عليه ، ولن احاول مغادرة هذه البلدة

— شكرا لك . والان ماتركك . وسوف يسعدنى ان آتى
لزيارتك غدا صباحا . طاب يومك

واحنى اشندن راسه ثم انصرف . ومركز الشرطة فقضى
فيه خمس دقائق ليؤكد من ان جميع الترتيبات على مايرام ثم
استقل العربة ، وصعد التل الى بيت منزول عند مشارف البلدة
كان ينزل فيه كلما جاء اليها فى زيارته الدورية

وطاب له ان يستحم ويطلق ذئبه ، ويربح قذفيه فى الخف الرخو
وشعر برغبة فى الاسترخاء فقضى بقية الصباح بطالع قصة
وفى جنح الظلام جاءه شرطى من مركز الشرطة اسمه فليكس
وكان قدومه فى الليل بسبب الرغبة فى عدم لفت الانتظار الى اشندن

حتى وهو في الاراضي الفرنسية . وكان فليكس فونسيا قصر القامة
أسمر اللون ؛ له عينان ثاقبتان وذئب غير حليق ، وبردى بذلة
ومادية اللون بعيدة عن الاناقة والحذو ، فكان مظهره أشبه بكتائب
محام مسعفل

وفدأ أشندن الى هذا الجندي كاسا من السيد وجلس الاثنان
بجوار نار المدفأة . تم قال فليكس :

— ان تلك السيدة لم تضيع وقتها سدى . فبعد وصولها الى
الفندق برع ساعة غادرتة ومعه حرمه من اللياب والحلى الرخيصة
فباعتها في دكان قريب من سوق البلده . ولما وصل الزورق بعد
الظهر الى الميناء ذهبت الى الرصيف وابتاعت تذكرة الى ايفيان
وايفيان هي المكان التالي لنونون في الاراضي الفرنسية على شاطئ
بحيرة لوزان . ومن هنالك يعبر الزورق البحيرة الى الاراضي
السويسرية

واسطرد فليكس :

— ولما كانت بطبيعة الحال لا تحمل جواز سفر لم يسمحوا لها
بركوب الزورق

— ولكن كيف نسرت عدم حصولها على جواز سفر ؟

— قالت انها نسيتها . وقالت انها على موعد لمقابلة اصدقاء لها
في ايفيان . وحاولت ان تقنع الموظف المختص بتركها تسافر . بل
وحاولت أيضا ان تدس في راحة يده مائة فرنك

فقال أشندن :

— لا بد انها أغبي مما كنت انصو



ولما توجه في اليوم التالي في نحو الساعة الحادية عشرة صباحا
لمقابلتها لم يسر من قريب أو بعيد الى محاولتها الفرار . وكانت
الفرصة قد أتيحت لها كي تنسق مظهرها فوجد شعرها مرجلا
ترجيلا تاما بعناية فائقة . وقد طلت شفتيها وخديها ، وبدت احسن
مظهرها بكثير مما رآها لاول مرة

وقال لها أشندن :

— لقد احضرت اليك بضعة كتب

— لماذا ؟

— اختى أن يكون الوقت بطيئا ثقيل الوطاة عليك

— وماذا يضرك من ذلك ؟

— لست لدى رغبة على الاطلاق في ان معانى اى نوع من الالم
استطيع تجنبك اياه . وسأترك لك هذه الكتب على كل حال وفي
استطاعتك أن تقرئها أو لا تقرئها على حسب ما ينراى لك
— آه لو علمت كم كرهتك !

— ان هذا طبعاً لا يسعدنى . ولكنى في الحقيقة لا ارى مبرراً
لحقدك على . فانا اؤدى الواجب المفروض على وانفذ الاوامر ليس الا
فساكنه باقتضاب :

— ماذا تريد منى الآن ؟ فلا اخالك جشمت نفسك الحضور لكى
تطمئن على صحتى فحسب !

فابتسم اشندن وقال :

— اريد منك ان تكتبى خطاباً الى حبيبك تقولين فيه ، انه بسبب
نقص بعض الاجراءات السككية في جواز سفرك رفضت السلطات
السويسرية ان تسمح لك باجتياز الحدود ، ولهذا جئت الى هنا
حيث الموقع جميل جداً وهادئ جداً ، هادئ الى درجة يصعب
معه ان يصدق الانسان بان هناك حرباً عالمية . وتختتم رسالتك
بان تقترحي على شندرالال الحضور كى يلحق بك هنا

فرمته جوليا بنظرة حادة وقالت :

— وهل تظن شندرالال ابله ؟ انه سيرفض الحضور

— في هذه الحالة يجب عليك ان تبدلى اقصى ما في وسعك لافرائه
بالحضور

فنفرت جوليا الى اشندن طويلاً من غير ان تجيب . وخامره
الفلن بانها كانت تتداول في الامر بينها وبين نفسها . فلعلها بكتابة
الخطاب المطلوب والتظاهر بالرضوخ التام تكسب فسحة من الوقت
واخيراً قالت جوليا :

— حسناً ، امل على وساكتب ما تريد

فابتسم اشندن ابتسامة مأكرة وقال :

— بل افضل ان تكون الرسالة من انشائك وبطريعتك الغريدة

المعاداة بينكما

— امسحني نصف ساعة وسكون الخطاب معدا

فقال اشندن بهدوء

— سأنتظر هذه النصف ساعة هنا

فساله بدهشة

— لماذا ؟

فقال بهدوء حازم :

— لاني اوتر ذلك

فومضت عنهاها بار الغضب ، بيد انها تحكمت في اعصابها ولم تقل شيئا . وكانت على متصدتها ادوات للكتابة ، فجلست وبدأت تكيب

ولما قدمت الى اشندن الخطاب بعد فراغها من تحريره لاحظ ان شحوبها كان واضحا تحت ظلالتها الاحمر القليل

وكان الخطاب خطاب شخص لم يتعود كثرة استعمال الخبر في التعبير عن نفسه . ولكن الخطاب كان واقيا بالفرس . وكانت عبارات الحب نابضة بالحياة والصدق . وضغط اشندن على اعصابه وقال لها :

— والان اضيفى هذه العبارة

— فل

— « ان الذي يحمل البك رسالتى رجل سويسرى في وسعك ان تطمئن اليه طمأنينة مطلقة . فاني لم احب ان ينعرض خطابي هذا لعيون الرقابة على البريد »

وسالته في هجاء بعض الكلمات فقال لها :

— اكتبها بهجاءك الخاص . والان اكتبى العنوان على مطروف يخطك ويعدا ساخلصك من سحتنى

وسلم اشندن الخطاب الى احد عملائه السويسريين الذي كان ينتظر كي يحمله عبر البحيرة . وفي مساء ذلك اليوم نفسه اتاه اشندن بالرد فانزعته من يديه وضغطته فوق قلبها لحظة قبل ان تطالعه . ولما طالعه اطلقت صرخة ارتياح :

— لن ياتى

وكان الخطاب مكتوبا بتلك الانجليزية المزركشة الاسلوب ، وقد عبر فيها الهندي عن حبة امله المريرة وكيف انه كان يتطلع في شوق ولهفة الى لقائها . وتوسل اليها توسلات حارة ان تفعل كل ما يمكن في تدليل العقبان التي حالت بينها وبين عبور الحدود السويسرية . وأكد لها انه من المستحيل عليه ان يأتى الى فرنسا بأية صوره ، فهناك لمن غال في صورة جائزة لمن يأتى براسه حيا او ميتا . ومن الجنون ان يجازف براسه ، ثم أردف ذلك بعبارة مازحة :

« ولا أظنك راغبة في أن يعدم بالرصاص حبيبك الاسمر البدين يا ربحانة قلبي »

وعادت جويلا تقول في سرور فائق :

« لن يأتى . لن يأتى »

يجب ان تكتبى اليه مرة اخرى لتؤكدى له انه لا مخاطرة على الإطلاق

« لن يصدقنى »

« سيصدقك اذا قلت له انه لو كانت هناك أية مخاطرة لما جال بفكر لحظة واحدة ان تطلبى منه القدوم . وقولى له ايضا انه ان كان يكن لك حبا صادقا فلن يتردد هكذا في الاجتماع بك وانت على يد كيلومترات قليلة »

« بن اكتب اليه شيئا من هذا »

« لا تكونى بلهاء . فكرى في مصيرك ؟ »

فانفجرت لجة تبكى بدموع غزيرة . ثم التفت بنفسها على الارض وتعلقت بركبتى أشندن متوسلة اليه ان يرحمها .

« انا على اتم استعداد ان ابلل لك أى شيء في الدنيا ان انت تركبتى اذهب لحال سبيلى . اذهب اليه »

فقال أشندن :

« ما اسخفك ! انظنينى اريد ان اكون عشيقك ؟ اصغى بصوت »

العقل وفكرى في مصيرك

فنهضت واقفة على قدميها وتبدلت فجأة من التقيض الى التقيض : تبدلت من التوسل والتضرع الى التيفظ والنقمة والغضب واخذت تقذف في وجه اشندن باقذع أنواع السباب والتعوت كالسيل

الجارف . فقال :

— انا افضل سبابك على توسلاتك . ذلك افضل لى . والآن اما ان بكى كما امرتك او ارسل فى طلب الشرطة !
سولكنه لن باتى . كل هذا مجهود ضائع
فقال انسدر بأصرار :

— من مصلحك ان تغريه بالحضور

فنظرت اليه بدهشة وقالت :

— ماذا معنى بذلك ؟ اعنى اننى حى لو بدلت كل مافى وسمى
وفسلت فمع ذلك سوف ...

وظهر الدعر فى عينيها ولم تجسر على اتمام عبارتها . فاوما
اشمدن براسه فى هدوء وحزم وقال :

— نعم . اما هو واما انت !

فترنح . ورعت يدها الى قلبها . ثم مدت يدها من غير ان
تنطق الى القلم والورق . وسطرت خطابا لم يرق فى نظر اشمدن
فحملها على اعادة المحاولة . ولما فرغت منه ارتمت فوق الفراش
وانفجرت مرة اخرى فى نوبة عاصفة من البكاء

كان حزنها صادقا . ولكن تعبرها عنه كان لا يخلو من عنصر
مسرعى . وذلك ما خفف من وطأة نائبرها على اشمدن

وساعد انسدر على تحمل الموقف انه كان يطر اليها نظرة خالية
من العامل الشخصى كنظرة الطبيب الى الم يعجز طسه عن تخفيقه .
وادرك الآن لماذا اختاره الكولونيل لهذه المهمة بالذات



الفصل التاسع

نورة عارمة

ولم يرها اشنندن في اليوم التالي . فان الرد على خطابها لم يسلم اليه الا بعد وجبة العشاء ، عندما احضره فليكس الى بيت اشنندن الصغير . وسال اشنندن الشرطي الفرنسي :

— ماذا وراءك من الاخبار ؟

فابتسم الفرنسي ، وقال :

— ان صاحبنا بدا الياس يستولي على قلبها . وبعد ظهر اليوم سارت الى المحطة في اللحظة التي كان احد القطارات يتأهب فيها للرحيل الى ليون . ورايتها تنظر في طول الرصيف وعرضه في تردد . فاتجهت نحوها وسالتها بكل ادب وحزم ان كانت في حاجة الى اى شيء تستطيع ان اؤديه لها . وقدمت لها نفسي باعتباري مخبرا في ادارة الامن العام

— وماذا قالت لك ؟

فازدادت ابتسامة الفرنسي اتساعا وهو يقول :

— اقسم لك لو ان النظرات كانت كافية للقتل ، لما وجدتني الان واقفا بين يديك !

فقال اشنندن :

— اجلس يا صديقي

— شكرا لك . وما كان منها بعد ذلك الا ان انصرفت من المحطة . وكان واضحا انها ايقنت بعيب محاولة ركوب القطار . ولكنها لم تقف مكتوفة اليدين . بل هناك شيء مشير حقا للاهتمام اقدمت عليه تلك السيدة ، واريد ان افضي به اليك

— وما هو ؟

— عرضت الف فرنك على نوتي يملك فاربا فوق بحيرة لوزان
 كي يعبر بها البحيرة الى الشاطئ السويسري
 ١ فظهر الاهتمام على وجه أشندن وقال له :
 — وماذا كان رد النوتي ؟
 — انه لا يستطيع الاقدام على هذه المخاطرة
 — وبعد ؟

فهر المخبر الفرنسي كتفيه وابتسم قائلا :
 — فطلبت اليه ان يقابلها على الطريق المفضي الى ايفيان في الساعة
 العاشرة من هذه الليلة ، كي تستأنف مفاوضاته في هذا الموضوع .
 وقد لمحت له من طريق خفي بأنها لن ترفض بكل اباء وشمم وشبته
 في الاختلاء بها اختلاء غراميا ، ولما قال لي الرجل ذلك قلت له اتنى
 لا ابالي ماذا يكون بينه وبينها ، فذلك شأنه وحده مادام سيأتي
 بعدها ويفضي الى بكل ماله اهمية من الحديث
 وساله أشندن عندئذ :

— هل انت متأكد بأنه اهل للثقة ؟
 — جدا . فهو لا يعرف شيئا بالطبع سوى انها تحت رقابة شرطة
 الامن . فلا حاجة بك الى القلق من جهته . انه فتي يعتمد عليه ،
 وقد عرفته منذ طفولته

وقرا أشندن رسالة شندرالال فاذا بها تفيض باللهفة والهيام
 هياما حقيقيا يتل على حب صادق كأصدق مايعرفه أشندن عن
 الحب عند الناس . وقد حدثها في الخطاب كيف يجد الساعات
 طويلة طويلة وهو يقضيها في السير على قدميه على شاطئ البحيرة ،
 وعيناه متلفتان بالشاطئ الآخر ، شاطئ فرنسا ؟ وكيف انهما
 قريبان غاية القرب ، وبينهما مع ذلك اقصى حائل عازل

وحدثها مرة أخرى في عبارات كثيرة مكررة المعنى انه لا يستطيع
 ان ياتي اليها . وتضرع اليها الا تلح في ذلك الطلب . فهو خليق
 ان يقدم على اي شيء في الدنيا من أجلها . اما هذا فلا يجسر على
 الاقدام عليه . ومع ذلك فلو لمحت فكيف عساه يجد قدرة في نفسه
 على المقاومة ؟

وتوسل اليها ان تشفق عليه . ثم اطلق صرخة ألم ممض في

عبارات طويلة مؤثرة لانه يجب أن يرحل من غير أن يراها . وسألها
أن تبحث عن أية وسيلة للتسلل من الحدود والحضور اليه . ثم
اقسم أنه لو أتيح له أن يضمها بين ذراعيه لما أفلتها ولا سمح أن
يكون بينهما فراق مادام حيا

كانت عباراته ملتبسة تكاد تحرق صفحات خطابه . كانت
رسالة رجل سلب الالم عقله ...

وسأل أشندن المخبر الفرنسى :

— ومتى تتوقع أن تسمع نتيجة مقابلتها مع النوتى ؟

فقال الفرنسى :

— لقد رتبته معه الامر بحيث أقابله فى الميناء فيما بين الحادية
عشرة ومنتصف الليل

فقال أشندن وهو ينهض :

— سأتى معك

ومشى الاثنان فهبطا التل الذى يقوم على قمته البيت المنعزل ،
ثم عرجا على الميناء ووقفا بالقرب من ادارة الجمرك . وبعد برهة
من الانتظار أقبل نحوهما رجل ، فخرج فليكس من الظل الذى
خفيهما وقال :

— انطلوان ؟

فاجاب القادم .

— مسيو فليكس ؟ معى شيء لك

— ماذا تعنى ؟

— اعنى أنه شيء يهكم الحصول عليه

— ماهو ؟

— خطاب وعدت أن حملته الى لوزان بنفسى على أول زورق
يقلع من هنا فى الصباح

ولم يحاول أشندن أن يسأل الرجل ماذا جرى بينه وبين جوليا
لازارى حتى قبل أن يؤدي لها هذه الخدمة السرية . وتناول
الخطاب ثم استعان بمصباح فليكس الكهربائى على قراءته . وكان
مكتوبا بلغة المانية ركيكة كثيرة الاغلاط على قلة كلماته :

« لانحضر لاي سبب وبأى شكل تحفظ على رسائلى هناك

خطر بحيق بك . احبك . واياك يا حبيبي ان تحضر ؟
 ووضع اسنندن الرسالة الصغيرة في جيبه ثم اعطى النوتى
 خسن مرنكا ، وعاد الى بيته كى ينام
 وفى اليوم التالى ذهب اسنندن لزبارة حوليا لازارى فوجد باب
 حجرى بالغندق مغلا بالمفتاح . وطل يطرق الباب برهة فام
 ينلق جوابا . فراح يناديها وهو يهر الباب :
 - مدام لازارى ! يجب ان تصحى الباب . اريد ان اكلمك
 اليك

فجاء صوتها من الداخل :
 - هلنا في الفراش . مريضة ولا استطيع ان اقبل احدا
 فقال اسنندن باصرار :
 - يؤسفنى هذا ولكن يجب ان تفتحى الباب
 - قلت لك انى مريضة ؟
 - اذن سارسل في طلب الطبيب
 - انصرف . قلت لك لى اقبل احدا فلا تنعب نفسك !
 - ان لم تفتحى الباب سارسل في طلب صانع الاقفال كى
 يفتحه عنوة

وساد الصمت برهة ثم سمع هدير المفتاح يدور فى القفل
 ودخل اسنندن فراها فى توب النوم وسرعلة لمشعت . فكان واضحا
 انها خرجت لنوها من الفراش
 ونظرت اليه بانكسار ، وقالت :

- لقد استنفدت قوتى ولا طاقة لى بعمل شئ . بكفى ان تنظر
 الى سحتنى لتعرف انى مريضة . والواقع انى كنت مريضة اشعر
 بغشيان طول الليل . لم استطع ان انام . رأسى يكاد ينفجر
 فقال اسنندن :

- لن استبقيك طويلا . اتحبن ان ندعو طبيباً ؟
 فمطت شفيتها وقالت بأسى :
 - وماذا يستطيع لى الطبيب ؟
 فاخرج اسنندن من جيبه الخطاب الذى كانت جوليا قد اعطته
 للنوتى وقدمه اليها قائلاً :

— ما معنى هذا ؟

فشقت عندما رأت رسالتها واخضر لون وجهها الشاحب

فقال أشندن :

— لقد اعطيتني وعد الشرف أنك لن تحاولي الهرب أو ارسال

خطاب الى حبيبك من غير علمي

فصرخت في غيظ واحتقار :

— وهل خطر ببالك اننى سأبر بوعدي حقا ؟

فقال أشندن بهدوء :

— كلا . ولا أكتحك اننا لم ننزلك في هذا الفندق المريح بدلا من

حبسك في احد السجون المحلية حرصا على راحتك الشخصية

فحسب ، بل انه من الجائز لى أن اصارحك الان أنك وان كنت

مطلقة الحرية في الدخول والخروج كما تشائين ، الا أنك لا تستطيعين

الافلات من تونون كما لو كنت مقيدة بالسلاسل في زنزانة سجن .

فمن البلاءة أن تضيعي وقتك في كتابة خطابات لن تصل الى حيث

تريدين

فصاحت في وجهه بأقصى قوتها :

— يالك من خنزير تلذ !

فلم يكثرث وقال لها بهدوء حازم :

— ينبغي عليك أن تجلسي الان لتكتبي خطابا سيصل الى حيث

تريد !

— كلا ، لن افعل شيئا أكثر مما فعلت . لن اكتب كلمة اخرى

فقال أشندن :

— ولكنك جئت معي الى هنا على أساس أنك ستفعلين أشياء

معينة

فهزت كتفها وقالت :

— ولكنى لن افعلها . انتهينا !

فاستعان أشندن بمزيد من المنبر وقال بلهجة لا تخفى فيها

تبرة الوعيد :

— من الخير لك أن تفكرى في الامر قليلا !

فصاحت وعيناها تومضان بالحدق :

— أفكر قليلا ؟ وهل كنت أصنع شيئا سوى التفكير ؟ لقد فكرت . ولك أن تصنع بى ما تشاء . فلست أبالى ولم يفارق أشندن هدوءه وقال :

— جميل جدا . سامحك خمس دقائق مهلة تغييرين فيها رأيك وأخرج ساعته من جيبه وأخذ ينظر اليها ثم جلس على طرفة السرير وظل صامتا . فضاقت بذلك الصمت وأخذت تقول :

— لقد اتعب أعصابى وجودى فى هذا الفندق . لماذا لم تودمنى غيابة السجن ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ ان هذه الحرية الظاهرية التى أمتنع بها هنا نكاد تطير صوابى . حرية فى الدخول والخروج ولكنى احس فى كل مكان وكل خطوة بالجواسيس فى أعقابى . ان ما تصنعونه بى فظيع ومشين مخجل ! الا خبرنى ما هى جريمتى ؟ انى أهالك ما جريرتى ؟ ماذا صنعت حتى استوجبت هذا كله ؟ الست امرأة ؟ ان ما تطلبون منى ان أصنعه فظيع وشائن !

وكانت تتكلم بصوت مرتفع مشدوخ . وظلت تتكلم تباعا الى ان انتهت الدقائق الخمس وأشندن ساكت لا ينطق بحرف . ثم نهض وأقفا فصرخت فى وجهه :

— نعم اذهب ! انصرف عنى

وأخذت تقلقه بسباب بلدىء لا يصلح للنشر ، فقال بهدوء :

— ولكنى ساعد !

وعندما خرج من الباب أغلقه بالمفتاح من خلفه . ثم نزل السلم مسرعا الى البهو فكتب رسالة على عجل ونادى ماسيح الاحدية فأرسله بها الى مركز الشرطة . ثم صعد السلم مرة أخرى وكانت جوليا لازارى قد ألقت بنفسها على الفراش وإدارت وجهها الى جهة الحائط . وجسمها يهتز بنحيب هستيرى . ولم تظهر عليها أية علامة تفيد أنها سمعته يدخل . فجلس أشندن فوق مقعد مواجه للمائدة الزينة وأخذ ينظر الى الأدوات المختلفة المتناثرة فوقها

ولاحظ أن مواد الزينة التى كانت تستعملها رخيصة وليست مرتبة ولا نظيفة . فهناك بقع كثيرة من الاحمر والكريم البارد متناثرة على المائدة مع لطخ من الكحل الذى يستخدم للحواجب والرموش .

اما دبائيس الشعر فكانت قبيحة الشكل مغطاة بطبقة دهنية
والواقع أن الحجرة كلها كانت على شيء من القوضى ، والهواء
فيها ثقيل بما يحمله من رائحة العطر الرخيص . ففكر أشندن في
مئات الحجرات التي لابد أنها نزلت فيها بفنادق الدرجة الثالثة ،
في خلال حياة التجوال التي عاشتها من بلدة ريفية الى أخرى في
قطر بعد قطر ، وتساءل عن أصل شأنها . أنها الآن امرأة خسنة
سوقية ، ولكن كيف نراها كانت إبان صباها ؟ أنها ليست من ذلك
الطراز من النساء الذي ينتظر منه السير في طريق الفن . لانه من
الواضح أنها لا تتمتع بأى شيء من المرايا التي تؤهلها لذلك . ثم
خطر بباله أنها ربما كانت منحدرة من أسرة لاعبي سيرك . ففي
جميع أنحاء العالم عائلات من لاعبي السيرك كان أبناؤهم بالورابة
يحترفون الفن ، لانهم ولدوا في رحابه . أو لعلها كانت عشيقه
أحد الممثلين الصغار فأدخلها حظيرة الرقص

كم من الرجال عرفت في حياتها طيلة تلك السنين ؟ ما بين رملاء
في التمثيل والاستعراض ووكلاء للفنانين ومدبري فرق ممن يرون
من حقيهم الطبيعي أن يعاشروها . ثم هناك التجار واعيان الأرياف
وأبناء الأسرات الذين يرون من أوليات الوجاهة أن يحظوا براقصات
الفرق المتجولة التي تنزل بالبلدة ليلة أو بضع ليال !

وهؤلاء كانوا في نظرها بالطبع هم مصدر الإيراد الذي تعيش
منه ، فكانت تتقبلهم ببرود مهني . ولكن بالنسبة لهم لعلها كانت
تمثل المغامرة والذكريات الساخنة التي يدخرها الشبان لسنوات
الشيخوخة أو الاستقرار في الحياة الزوجية

وفجأة طرق الباب طارق فصاح أشندن على الفور :
- أدخل !

ووثبت جوليا لازاردي جالسة في فراشها وصاحت :
- من ؟

وظهر عليها الروع عندما رأت المخبرين اللذين أحضراها من
بولونيا وسلمهاها الى أشندن في تونون يدخلان عليها فصرخت :
- انما ؟ ماذا تريدان ؟

فصاح أحدهما في صوت فظ يوحى بأنه لن يتردد في استخدام
العنف :

— هيا . قومي
وقال أشندن برقة ظاهرية :
— أخشى يا مدام لازارى أنه لا مفر لك من القيام
— ولكن لماذا ؟
— لاني سأسلمك مرة اخرى لعناية هذين السيدين
فصرخت جوليا :
— ولكن كيف أنهض ؟ قلت لك انى مريضة . لا أستطيع الوقوف
العلك تريد ان تقتلنى ؟
فلم يكتوث أشندن وقال لها
— ان لم تردى ثيابك بنفجيك سنضطر الى أن نقوم بذلك نيابة
عك . وأخشى اننا لن نستطيع ذلك بمهارة كافية . فمن الخير لك
ان تقومي لانه لا فائدة من هذه المراوغة
فسالته جوليا :
— ولكن الى أين تريد ان تأخذنى ؟
— سيأخذاك ليمودا بك الى انجلترا
ومد احد الخبرين يده فقبض على ذراعها بعنف . بصرخت
بغضب :
— اياك أن تلمسنى ! لا تقترب منى !
فقال له أشندن :
— دعها وشأنها . انا واثق انها إستوب الى عقلها وتذكر أنه من
الخير لها الا تثير المتاعب
فقالت جوليا :
— سأرتدى ثيابى
وجعل أشندن يرمقها وهو تخلع ثوب النوم وتلبس ثوبا للخروج
ثم تحشر قدميها حشرا في حذاء كان أصفر من حجمها بشكل
واضح . ثم ربت شعرها . وبين حين وآخر كانت ترمق الخبرين
بنظرات شذراء
وتساءل أشندن فيما بينه وبين نفسه : ترى هل ستجد لديها
الجسارة على المضي في العناد والرفض ؟ . ان الكولونيل سيعتبره
مغفلا غيبا اذا أخفق في مهمته . ولكنه في قرارة نفسه كان يتمنى

لو أنها وجدت في نفسها الصلابة الكافية للمضي في الرفض الى النهاية
كى تنقذ حبيبها شندرالال

واتجهت جوليا الى مائدة الزينة فوقف اشندن ليتبع لها
الجلوس . وجلست امام المرأة فوضعت على نوجهها الكريم بسرعة
تم مسحته بمنشفة قلده ووضعت المساحيق ثم وضعت الكحل في
عينيهما ويداهما ترتجفان وكان الرجال الثلاثة يرقبونهما صامتين . ثم
صبغت خديها وفمها بالاحمر ودست رأسها في قبعة

وأشار اشندن الى احد المخبرين فأخرج من جيبه الاغلال
الحديدية وتقدم نحوها ليصفد معصميهما . ولما رأت الاصفاذ
تراجعت الى الوراء في ذعر ، وفطحت ذراعيهما على سعتهم وأخذت
تصرخ :

— كلا كلا . لا اريد . الا هذا !

فقال المخبر في فظاظة :

— هيا يا فتاتي . لا تكوني بلهاء

واذا بها تاتي بحركة دهش لها اشندن غاية الدهشة ، فقد ألقت
بلذراعيهما حول عنقه كأنها تلتمس منه الحماية ، وصاحت :

— لا تدعهم يأخذاني . ارحمني ! لا أستطيع ! لا أستطيع !

وخلص اشندن نفسه من ذراعيهما وقال :

— لا أستطيع لك شيئا بكل أسف

وقبض المخبر على معصميهما ، وأوشك أن يضعهما في الاصفاذ
واذا بها تطلق صرخة عظيمة وتلقى بنفسها على الارض وتصيح :

— سأفعل ما تريد مني . سأفعل كل شيء !

وأشار اشندن الى المخبرين فغادرا الحجرة . وتمهل بعدها برهة
الى أن استعادت هدوءها . وكانت متبطحة على الارض تنتحب بكل
عنف . فتقدم منها وانفضها على قدميهما ثم أجلسها

وقالت بين الشهيق :

— ماذا تريد مني ؟

— أريد منك أن تكتبي خطابا آخر الى شندرالال

— ان رأسي به دوامة ولن أستطيع أن أكتب جملة واحدة . يجب
أن تمهلني بعض الوقت

وتحير أشندن بين الرحمة والحكمة . ثم رأى أنه من الخير أن ينتهز فرصة فزعهما الشديد كي تكتب الخطاب قبل أن تسترد شجاعتهما وتعود الى التمرد والرفض
- ساملى الخطاب عليك . ولكن يجب أن تكتبى ما أمليه عليك بالضغط

فندت عنها زفرة محرقة ، ثم تناولت القلم والورق وجلست امامه الى منضدة الزينة وقالت .
- اذا فعلت ماتريد .. ونجحت خطبك . كيف لى ان اعلم انكم ستطلقون سراحي ؟
فقال لها أشندن :

- لقد وعدك الكولونيل بذلك . وثقى اننى سأنفذ تعليماته بحذافيرها وأطلق سراحك متى وصل صاحبك الى هنا
- لا شك اننى اكون أشد الناس غفلة اذا خنت حبيبى ثم تلقون بى فى السجن بعدها
فقال لها أشندن مترفقا :
- سأبين لك أعظم ضمان لصدق وعدنا
- ما هو ؟

- أنه لا أهمية لك عندنا شخصا اطلاقا فيما عدا كونك طعما لاستدراج شندرالال . فلماذا نهشهم انفسنا المتساعب والنفقات لاستضافتك فى السجن وحريتك لا ضرر منها لنا ؟
وفكرت فى كلامه لحظة ثم عاد اليها هدوؤها وقالت بلهجة عملية :
- خبرنى ماذا تريدنى ان اكتب ؟

وتردد أشندن . لقد خيل اليه أنه سيستطيع تقليد طريقتها فى كتابة رسائلها بسهولة . وهاهو ذا يجد الامر عسيرا . فلا بد من انقان اللهجة المناسبة وأن يخلو الاسلوب من الثقافة وانارها البليانية . ولكن الموقف لابد له ايضا من لهجة بعيدة عن بساطة الحديث العادى . وأخيرا جمع امره وأملى عليها ما اعتبره السهم الأخير فى كنانته للحصول على الفريسة

الفصل العاشر

الفريسة

— أكتبى ..

« لم أكن أعلم أنني أحببت جيبانا وعديدا ... فلو أنك كنت تحبني حقا لما أمكنك أن تتردد على هذه الصورة عندما طلبت منك أن تأتي ... (وضعي خطا تحت لما أمكنك ... وقد وعدت أنه ليس هناك خطر محقق . فان كنت لا تحبني فخطرا صنعت إذ لم تات . لا تات ! عد الى برلين حيث تشعر بالامان والعلمانية . لقد سمعت هذه اللعبة . أنا هنا وحيدة مريضة . أمرضني انتظارك وأنا أمني نفسي كل يوم أنك ستأتي . فلو كنت تحبني لما ترددت مكذبا . لقد تبين لي الآن أنك لا تحبني . نفسي سئمتك . وليس عندي مال . وهذا الفندق فظيع . ثم لم يعد هناك ما يدعو لبقائي فيه ، وفي استطاعتي أن أحصل على اتفاق للعمل في باريس . ولي هناك صديق عرض على عروض جديدة مغرية . وقد أضعت وقتا طويلا معك وبسببك ثم ها هي ذي النتيجة ! على كل حال قد انتهينا . ووداعا . وأعلم أنك لن تجد امرأة تحبك كما أحببتك أنا . وأنا الآن في موقف لا أستطيع معه أن أرفض اقتراح صديقي ، ولذا أرسلت إليه برقية بالموافقة على عروضه . ربما مجرد وصول رده على برقيتي سأذهب الى باريس . وفق أنني لا ألومك على شيء لأنك في الواقع لا تحبني . وهي ليست غلطتك . ولكن يجب أيضا أن تراعى أنه ، أكون غاية في الغباء لو ثابرت على إهدار حياتي ، وبضييع الفرص التي لا تتكرر . لأن الشباب لا يدوم الى الأبد . ووداعا ... جوليا . »

ولما فرغ أشندن من الاملاء طلب منها الخطاب وقراه مرة أخرى

فلم يرض عنه كل الرضا . ولكنه كان افضل ما يستطيع . ولاحظ
ان الاملاء كان عجيبا جدا يصل الى حد الفحش في الخطأ الهجائي .
وان الخط كخط طفلة . وما اكثر الكلمات التي شطبتها وكثبت
غيرها عدة مرات وكان قد املأها بعض العبارات بالفرنسية تقليدا
لطريقةها . وقد سقطت دموعها مرتين او ثلاثا على الصفحات
قطعت معالم بعض الكلمات . .

وقال لها اشندن :

— الان اتركك . وربما اتيح لى عندما نلتقى في المرة القادمة ان
اخبرك انك صرت طليقة السراح لنذهبي حيث تشائين . وفي هذه
الحالة احب ان اعرف ابن تنوين الذهب
فقال بطريقة آلية :

— الى اسبانيا

فقال اشندن :

— وهو كذلك . سيكون كل شيء معدا لسفرك
فلم ترد على ان هزت كتفيها . فنركها وانصرف



ولم يعد امام اشندن ما يصنعه سوى ان ينتظر . وارسل رسولا
الى لوزان بعد الظهر بالرسالة . وفي الصباح التالي ذهب الى
رصيف الميناء ليستقبل الزورق القادم من لوزان
وكانت هناك فاعة انتظار مجاورة لمكتب التذاكر . وهناك امر
المخبرين بالتريص وأن يكونا حلى قدم الاستعداد . والمتبع عند
وصول الزورق ان يتقدم الركاب في صف فتفحص جوازات سفرهم
قبل ان يسمح لهم بالنزول الى الشاطئ . فاذا جاء شندرا لال
وأبرز جواز سفره . ومن المرجح أنه يسافر بجواز مزور صادر في
الغالب من دولة محايدة ، ففي هذه الحالة سيطلبون منه الانتظار
ثم يستلعون اشندن ليتحقق من شخصيته . وعندئذ يتم
القبض عليه

وبكثر من توتر الاعصاب جعل اشندن يرقب الزورق وهو يدخل
الميناء ثم شرع يتفحص وجوه الركاب واحدا بعد واحد ، ولكنه لم
يعثر بينهم على أحد يشبه أدنى شبه مسافرا من الهند

شندرالال لم يحضر اذن ... لم يدركوا انهم ماذا يفعلون . لقد لعب ورقته الاخيرة . وكان عدد الركاب النازلين في تونون لا يزيد على حفنة قليلة سرعان ما تفرقوا الى حال سبيلهم . وراح اشندن يتمشى فوق الرصيف بخطوات بطيئة ، ثم قال لفليكس الذى كان يفحص جوازات السفر :

— لقد فشلنا . والسيد الذى كنت أنتظر قدومه لم يحضر

فغمر فليكس بعينه ، وقال :

— عندي خطاب يهكم كثيرا

وقدم الى اشندن مظروفا عليه عنوان مدام لازارى . فعرف اشندن على الفور خط يد شندرالال . وقبل ان يعرض المظروف لمح الزورق القادم من جنيف ووجهته لوزان . وهذا الزورق يصل الى تونون دائما كل صباح بعد وصول الزورق القادم من لوزان بعشرين دقيقة . وخطرت لاشندن فكرة ومضت في نفسه كأنها بريق الالهام ، فقال لفليكس :

— اين الرجل الذى احضر هذا الخطاب ؟

— انه هناك في مكتب التذاكر

فصاح به اشندن :

— اسرع واعطه الخطاب وقل له ان يعود الى الشخص الذى

سلمه اياه في لوزان

— وماذا يقول له ؟

— يقول له انه حمل الرسالة الى السيدة ولكنها رفضت ان

تسلمها وطلبت منه ان يردها اليه . فاذا طلب منه ذلك الشخص

ان يحمل خطابا آخر الى السيدة ، فعليه ان يقول له ان ذلك لا فائدة

منه لان السيدة كانت بصدد حزم حقائبها والرحيل عن تونون

وبعد ان تأكد من تلك الاجراءات خرج اشندن عائدا الى البيت

الصغير القائم فوق التل

كان موعد الزورق التالى الذى يمكن ان يصل عليه شندرا

الساعة الخامسة تقريبا . وفي هذا الموعد بالذات كان لدى اشندن

ارتباط سابق لمقابلة احد عملائه الذين يعملون في المانيا . فنبه فليكس

الى انه قد يتاخر في الحضور الى الميناء بضع دقائق

وعلى كل حال اذا حدث ان حضر شندرالال فمن السهل حجزه ولا ضرر من تاخره . فلا حاجة ماسة الى العجلة لان القطار الذي سيرحل فيه الهندى الى باريس لا يقوم من تونون الا بعد الساعة الثامنة

وبعد ان انتهى اشندن من مقابلته مع العميل القادم من المانيا سار متندا الى رصيف الميناء على شاطئ البحيرة . وكان الوقت لا يزال بعيد الغروب وفي السماء بصيص من نور فاستطاع ان يرى دخان الزورق البخارى وهو مقلع عائدا الى لوزان

ومن غير ان يفكر وجد نفسه نهبا للقلق واسرع في خطاه . وفجأة رأى شخصا يجرى مقبلا نحوه ، وسرعان ما عرف فيه الرجل الذى حمل الخطاب الى شندرالال . واخذ الرجل يصيح به :
- اسرع اسرع ! انه هنا

فقفز قلب اشندن في صدره ففزة قوية وقال :
- اخيرا !!

وشرع يجرى بأقصى سرعته . والرجل يجرى بجواره ويحدثه وهو يلهث بتفاصيل ماحدث عندما أعاد الخطاب مقلعا الى شندرالال :
- عندما وضعت الخطاب في يد الهندى شحب وجهه شحوبا فظيحا . ولم يكن يا سيدى اعتقد ان رجلا داكن البشرة بهذه الصورة يمكن ان يبيض وجهه من اكر الشحوب هكذا . وجعل يقلب الخطاب في يده كأنه لا يستطيع ان يفهم ماذا جاء به ولماذا هو في يده لا في يدى . وانبثقت الدموع من عينيه وانهمرت مدرارا على خديه فكان المُنظر فظيحا ومضحكا في آن واحد . لانه رجل بدين كما تعلم يا سيدى . ثم تعتم بلغة لا أفهمها . وما لبث ان سألنى بالفرنسية عن موعد قيام الزورق الى تونون . وبعد ذلك غادرته وذهبت الى الميناء . ولما ركبت الزورق لم أره بين الركاب . وتعبت عنه واخيرا وجدته منعزلا في مكان وحده وقد ارحى قبعته فوق عينيه . وظل طوال الرحلة شاخص النظرات الى تونون

وساله اشندن :

- واين هو الآن ؟

- لقد سبقته في النزول وأخبرت المسيو فليكس فطلب منى إن
أسرع للاتيان بك . فلا أدري أين هو . وأظنهم قابضين عليه الآن
في حجرة الانتظار

وكان أشندن قد لهث ونال منه التعب عندما وصل الى الميناء .
فاندفع داخلا الى قاعة الانتظار . وهناك وجد جماعة من الناس .
وهم يتحدثون جميعا فى وقت واحد بأعلى أصواتهم ، ويلوحون
بأيديهم بصورة جنونية ، متجمعين حول رجل ملقى على الأرض
وصاح أشندن :

- ماذا حدث ؟

فقال فليكس :

- انظر !

ونظر أشندن فإذا شندرالال ملقى هناك ويمناه جاحظتان والزبد
متجمع فوق شفتيه ، وجسده متخشب ومتقلص بصورة فظيعة .
لقد فارق الحياة

وقال فليكس يشرح الأمر :

- قتل نفسه . وأرسلنا فى استدعاء الطبيب ولكن الموت كان
أسرع اليه منا

وسرت فى جسد أشندن قشعريرة فظيعة

وجلية الأمر أن الهندي عندما نزل من الزورق ، عرفه فليكس
على الفور من الأوصاف التى لديه . وكان عدد الركاب النازلين فى
تولون أربعة فقط كان شندرالال الآخر بينهم . فتعمد فليكس
التباطؤ غير المعقول فى فحص جوازات سفر الثلاثة الذين قبله . ثم
تناول جواز سفر الهندي . وكان جوازا اسبانيا مستكملا لجميع
الشروط الرسمية

وبدا فليكس يلقى على شندرالال الاسئلة الموهودة على حسب
التعليمات ، ويسجل الاجوبة فى الاستمارة كما هو معتاد مع كل
راكب . ولما انتهى من ذلك ولم يكن أشندن قد حضر ، رفع فليكس
عينيه الى وجه الهندي وابتسم فى دماة شديدة قائلا :

- أرجو أن تفضل بالتوجه معى الى قاعة الانتظار لحظة واحدة ،
لأن هناك بضعة أمور شكلية يجب استكمالها

فسأله الهندي

— وهل جواز سفرى ليس مستوفيا من اية ناحية ؟
 — انه على مايرام . مجرد شكليات
 فبدأ التردد على شندرالال ، ثم تبع الموظف الى باب حجرة
 الانتظار المغقل . وفتح فليكس له الباب بادب وتحنى قائلاً :
 — تفضل بالدخول
 ودخل شندرالال ، فنهض المخبران واقفين
 ولا بد ان شندرالال ارتاب منذ اول وهلة فى انهما من الشرطة ،
 وادرك انه سقط فى فخ نصب له
 وقال له فليكس
 — اجلس باسيدي . فهناك سؤال او سؤالان احب ان اوجههما
 اليك

فقال الهندي :

— الجو هنا شديد الحرارة . ولذا سأخلع معطفى ان سمحت لى
 بذلك
 وفعلًا كانت المدفأة مشتعلة فى الحجرة فارتفعت الحرارة فيها
 كأنها فرن . وقال فليكس بكل لباقة :
 — طبعًا يا سيدي ...

وخلع الهندي معطفه بعد شيء من الجهد الظاهر ، ثم دار حول
 نفسه ليضعه فوق مقعد . وقبل أن يدركوا ما حدث راوه يترنح امام
 أصيנם ويخسر صريعًا على الأرض . فائنساء خلع معطفه استطاع
 شندرالال ان يتجرع محتويات زجاجة صغيرة كانت لا تزال فى قبضة
 يده

وقرب اشندن انه من الزجاجة وشمها ، فوجد لها رائحة شبيهة
 برائحة اللوز . ووقف الجميع ينظرون الى القتيل واجتمع
 واخيرا سأل فليكس فى اضطراب :
 — هل سيفضون لانه انتحر قبل ان يستجوبوه ؟
 فهز اشندن كتفيه وقال :

— سواء غضبوا أو لم بغضوا فاننا لا ارى لك ذنبًا . وحسبنا على
 كل حال انه لم يعد قادرا على الاستمرار فى الاضرار بمصالح الحلفاء .

ومن جهنى شخصيا أشعر بسرور لأنه قتل نفسه بيده . فان فكرة
إعدامه بيد أعدائه على سبيل الانتقام لم تكن تثلج صدرى بإصديقى
وفى هذه اللحظة دخل الطبيب وتحقق من الوفاة ثم قال لأشندن :
— سيانور البوتاسيوم

وهز أشندن رأسه جملة مرات ثم قال :
— سأذهب الآن لزيارة مدام لازاري . وإذا وجدت حالتها العصبية
منهارة ، واحتاجت للإقامة هنا يوما أو يومين آخرين ريثما تستجمع
شئنا قواها فسنسمح لها بذلك . ولكن إذا أرادت أن ترحل الليلة
فسيكون لها ما تريد طبعاً ، هل لك يا ميسيو فليكس أن تصدر الأوامر
للمخبرين فى محطة السكة الحديدية كي يتركوها تمر ؟
فقال فليكس :

— بل سأكون بنفسى فى المحطة
وشرع أشندن يصعد التل مرة أخرى نحو منزله المنعزل . وكان
الليل قد أرخى سدوله . وكان الجو باردا صافيا والسماء خالية من
السحب يزينها هلال كأنه خيط أبيض
وقبل أن يذهب الى منزله مرّج على الفندق ونظر الى أثاث البهو
واللوحات السياحية المعلقة على الجدران فى استمّزاز لم يشعر به من
قبل ، وصعد السلم وطرق الباب طرقة خفيفة ثم فتح باب حجرة
جوليا

وكانت جوليا جالسة امام مائدة زينتها تنطلع الى وجهها فى المراة
أما عن سام او عن ياس . فقد كان واضحا أنها لا تفعل شيئا
وفى صفحة المراة رأت أشندن داخلا فتغير وجهها فجأة عندما
وقع نظرها على وجهه ، وقفزت واقفة فى عنف حتى أن المقعد سقط
على الأرض

وسمعتها تصرخ صائحة :
— ماذا حدث ؟ لماذا أنت شاحب الوجه هكذا ؟
ودارت على عقبها وحملت فيه ثم ارتسم الرعب على وجهها .
وقالت لاهثة الانفاس بالفرنسية :
— قد وقع فى أيديكم !
فقال أشندن بصوت اجسى :

— بل مات

فصاحت فى فرح وحنى :

— مات ! لقد تناول السم اذن ! لقد سنحت له فرصة واتسع الوقت كى يفعل ذلك ، فافلت من ايديكم على كل حال فقال لها اشدندن بدهشة :

— ماذا تعنين ؟ وكيف عرفت حكاية السم ؟

فضحكت فى سخرية وقالت :

— كان يحمل الزجاجة معه دائما ولا تفارقه . كان يقول باصرار ان الانجليز لن يظفروا به حيا مهما حدث

وفكر اشدندن برهة وشعر بالاعجاب لانها كنمت ذلك السر بحرص وعناية . وفطن الآن الى ان تلك الفكرة كان ينبى أن تخطر له . واخيرا قال لها :

— انت الآن حرة تماما . فى وسعك ان تلذهبي حيث تشائين ولن تقف فى سبيلك اية عقبة . ها هي ذى تذكرة سفرك كما وعدتك . وها هو ذا جواز السفر . وها هي ذى النقود التى كانت فى حوزتك حينما القى القبض عليك

وسكت قليلا ثم سألها :

— اتريدى ان تلقى نظرة أخيرة عليه ؟

فاجفلت وصاحت :

— كلا كلا !

فقال لها اشدندن :

— لا لا لا ضرورة لذلك حقا . ولكن خذلى ببالى انك ربيعا هناك ان تلقى عليه نظرة أخيرة ...

لم تيك . وقدر اشدندن انها استنفدت قبل هذه الصدمة انفعالاتها وطاقتها . واستطرد يقول لها :

— ستصل الليلة برقية الى الحدود الاسبانية وبها تعليمات الى سلطات الحدود بتسهيل مرورك . فان أردت قبول نصيحى بحسن أن تغادري الاراضى الفرنسية بأسرع ما تستطيعين

ولم تقل شيئا . ظلت ساكنة . ولما كان لم يعسد لدى اشدندن ما يقوله ، تاهب للانصراف وقال لها :

— يؤسفنى اننى كنت مضطرا لاستعمال الشدة معك . ويسرنى
ان اسوأ ما فى متاعبك قد انتهى . وأتمنى ان يمحو الزمن حزنك
الشديد ، بسبب موت صديقك
ثم انحني أشندن واتجه نحو الباب . ولكنها استوقفته قائلة :
— رويدك لحظة
فالتفت نحوها متسائلا فقالت :
— هناك شيء واحد أحب ان اطلبه منك . وأظن ان قلبك لا يخلو
من جدوة رقة . . .
فقال أشندن بكل اخلاص :
— ثقى اننى مستعد ان أصنع من أجلك كل ما استطيع
فسأله فى هدوء تام :
— ماذا تراهم سيصنعون بأشيائه التى كان يحملها ؟
فظهرت الدهشة على وجه أشندن وقال لها :
— لا ادرى . ولكن لماذا تسألين ؟
وعندئذ قالت شيئا أذهل أشندن فوقف مبهوتا . قالت آخر
ما كان يتوقع ان يسمعه منها :
— ان ساعة معصمه كانت هدية منى فى عيد الميلاد الاخير . وقد
كلفتنى اثنى عشر جنيها . وامامى أيام قاسية . فهل لك فى ان
تساعدنى على استردادها . . . ؟



الفصل العاشر عشر

جوستاف

عندما قرر الكولونيل ارسال أتلدن الى سويسرا ليشرف على مجموعة من الجواسيس الذين يعملون لحساب انجلترا من هناك ، أحب ان يطلع على نموذج للتقارير التي يتطلب منه الحصول على مثلها . ولذا سلمه مجموعة من الوثائق المكتوبة على الآلة الكاتبة ، صادرة من رجل يعرف في ادارته المخبرات تحت اسم جوستاف ، وهو اسم مستعار بالطبع . وقال الكولونيل :

... انه أفضل جاسوس يعمل لحسابنا هناك . والمعلومات التي يزودنا بها كاملة بأسنوار ، وشاملة لجميع التفاصيل ، ومناسبة لظروفها وأوقاتها . وأريد منك أن تعير تقارير هذا الرجل أقصى عنايتك . وجوستاف بطبيعة الحال شخص ذكي بارع جدا بصورة خارقة ، ولكن هذا لا يمنع من حصولنا على تقارير تضاهيها في الجودة والدقة من العملاء الآخرين . وذلك لا يطلب سوى أن تشرح لهم بالضبط ماذا نريد منهم . وهذا الشرح هو مهمتك بصفقتك المرفق المباشر عليهم . والأساس أو المستوى الذي تطالبهم بتحقيقه في تقاريرهم هو مستوى تقارير جوستاف هذه !

وجوستاف يقيم بصفة أساسية في مدينة بال . وهو مندوب شركة سويسرية لها فروع في المدن الألمانية الهامة مثل فرانكفورت ومانيهايم وكولونيا . وبسبب عمله في الشركة كان متاحا له ان يذهب الى ألمانيا ويعود منها بصورة دورية وبشكل طبيعي خال من كل مجازفة

وكانت رحلاته في منطقة الراين الخطيرة . ومن هناك كان يجمع المعلومات عن تحركات الجيوش ، وصناعة الدخائر والأسلحة ، وعن

الحالة المعوية للشعب . وهذه مسألة كان يهم بها الكولونيل اهتماما فائقا ، فضلا عن المسائل الأخرى الى كان الحلفاء يطلبون المعلومات المسيضة عنها

وكانت خطباته الكثيرة الى زوجته في بال أثناء رحلاته داخل المانيا يخفى بين سطورها سيرة خاصة . وبمجرد تسلمها لتلك الخطابات . كانت ترسلها أولا بأول الى أشتندن حيث يقيم في جنيف . فيستخرج من هذه الخطابات الحقائق الهامة ويبلغها الى الجهات المختصة في الحال

ومرة كل شهرين كان جوستاف يعود الى بيته ووطنه ، وبعد تقريراً من تلك التقارير التي اعتبرها الكولونيل أنموذجاً ينبغي أن يسمح على مواله الجواسيس الآخرون في ذلك القطاع بالذات من إدارة المخابرات

كان الرؤساء راضين عن جوستاف . وكان الأسباب مهية كى يرضى جوستاف عن رؤسائه . لأن خدماته كانت مفيدة ونافعة ، بحيث كان يتقاضى عنها لا اجرا أعلى من أجور الجواسيس الآخرين فحسب ، بل كان يتقاضى أيضا بين الحين والحين مكافآت سخية على خدمات لها اميزاء خاص

واسنعر الحال على هذا الموال أكثر من سنة ثم حدث شيء ما أثار رغبة الكولونيل السريعة . فقد كان الكولونيل رجلا يتصف ببساطة مذهبة ، لا ترجع الى قوة العقل في الغالب ، بل الى قوة غريزة خاصة فيه . ويوحى هذه الغريزة شعر فجأة أن هناك شيئا على غير ما يرام . ولم يفص بسوء محدد عن دواعى هذه الرغبة الى أشتندن . لأن الكولونيل كان من أقدر الناس على كتمان خواطرهم الخاصة معها كان نوعها ، ولكنه طلب اليه أن يذهب الى بال - وكان جوستاف في ذلك الحين بالمانيا - وأن يتحدث الى زوجته جوستاف . وترك لأشتندن حرية التصرف في إدارة الحديث معها من غير تحديد

ولما وصل أشتندن الى بال ترك حقيبة في المحطة لأنه لم يكن يدري هل سيبقى في المدينة أم يرحل عنها في نفس اليوم . واستقل الترام الى رأس الشارع الذى يسكن فيه جوستاف . ولما نزل من الترام التقى نظرة سريعة ليتبين هل هناك من يتبعه أم لا . ثم اتجه

الى البيت الذى يفضله

وكان البيت عازه عن عمارة سكنة توحى البك بفاقة يسترها
النعف . وغلب على طن انشدن ان السكان من الكتبة وصفار الجار
وأصحاب الحرف . ومن داخل باب العمارة مباشرة وجد دكان
اسكاف . فوقف عنده انشدن وسأله بلغنه الالمانية المتعتره سنا ما :
— هل الهر جراباو يسكن هنا ؟

فأجابه الاسكاف على الفور :

— نعم . وقد رأيت يسهل الى مسكنه منسد دقائق قليلة .
ستجده هناك

واخذ اسدن بهذا القول . لأنه تلقى فى اليوم السابق مباشرة من
زوجة جوساف خطابا مرسلا من زوجها لها من مدينة مانهام ،
يتضمن بطريقة سفرته الخاصة ارقام فرق معينة فى الجيش الالماني
قال انها عبرت نهر الراين

ورأى انشدن من الغفلة أن يسأل الاسكاف ذلك السؤال الذى
قفز الى شفتيه . واكتفى بأن سكر الرجل وصعد الى الطابق الثالث
حيث كان يعلم من قبل أن جوساف يسكن جناحا منه
ودق انشدن الجرس وسمع رنينه فى الداخل ، وبعد لحظة فتح
الباب رجل قصير القامة ذو رأس حليق مستدير ، وعلى عينيه
نظارة ، وفى قدميه خف مما يلبس فى المنزل

وسأله انشدن :

— الهر جراباو ؟

فقال جوساف :

— فى خدمتك

— هل تسمح لى بالدخول ؟

وكان جوساف واقفا وظهره الى الضوء فلم يستطع انشدن أن
يتبين نظراته وسحنه عندئذ . ولكنه شعر أن الرجل تردد ترددا
يسيرا ، فناطق انشدن باسمه السرى الذى يتلقى بمقتضاه خطابات
جوستاف من المانيا . فقال على الفور :

— ادخل . ادخل . انى سعيد جدا بلقاءك

وقاده جوستاف الى غرفة صغيرة مزدحمة ثقيلة الهواء ، اثنائها

من خشب البلوط النخع المفوش . ورأى أشندن فوق المائدة الكبيرة المقطاة بمفرش من القبطية الخضراء آلة كتابة . ويظهر أن جوستاف كان منبهكا في تدبيح تقرير من تقاريره الثمينة

وعند النافذة المفتوحة جلست امرأة ترتق الجوارب . وبشارة من جوستاف نهضت وجمعت الجوارب وانصرفت . فادرك أشندن أنه أزعج هدوء اجتماع عائلي نموذجي في صفائه . وقال جوستاف :

— أرجو أن تتفضل بالجلوس . ياله من حظ سعيد أن تجدني الآن في بال . فانا منذ مدة طويلة جدا مشوق الى التعرف بك وقد وصلت في هذه الدقيفة من المانيا

وانسار الى الأوراق والآلة الكاتبة ثم استطرد :

— واعتقد أنك ستسر كثيرا من الأنباء التي أتيت بها . فعندي هذه المرة معلومات قيمة للغاية ...

وضحك ثم قال :

— والانسان لا يسوؤه طبعاً ان يحصل على مكافأة ...

وكان ظريفاً جداً وودوداً . ولكن أشندن احس بيرة تكلف . وكان جوستاف يتكلم وهو مثبت عينيه الباسمتين من خلال منظره على وجه أشندن في يقظة يشوبها شيء خفيف جداً من التلق ... وقال له أشندن :

— لا بد أنك أسرعت جداً في رحلتك حتى أنك وصلت هنا بعد وصول خطابك ساعات قليلة !

— هذا جائز جداً . ومن الواجب ان أخبرك ان الالمان يرتابون في تسرب المعلومات العسكرية عن طريق المراسلات التجارية العادية . ولذا قرروا ان يستبقوا جميع الرسائل البريدية عند الحدود لمدة ثمان وأربعين ساعة

فابتسم أشندن وقال بكل ظرف :

— آه . لعلك لهذا السبب اتخذت حيلتك منذ تاريخ خطابك فوضعت عليه تاريخاً متأخراً عن يوم الإرسال بثمان وأربعين ساعة ؟ — هل فعلت ذلك حقاً ؟ ما أشد غيائي لا بد أنني أشكل على تاريخ اليوم

فنظر أشندن الى جوستاف وهو يبتسم ، فهذا عذر واه جداً .

فجوستاف رجل أعمال وهو لذلك يعرف تمام المعرفة أهمية التاريخ الدقيق في عمله التجارى ، والأهمية القصوى في هذه المهام السرية التى تتعلق بالمخابرات . فمن العناصر الجوهرية لدى القيادة أن تعرف بالضبط اليوم الذى وقعت فيه الاحداث المشار اليها فى التقارير والخطابات

وقال أشندن لجوستاف :

— دعنى القى نظرة على جواز سفرك

— ولماذا تريد أن ترى جواز سفرى ؟

— أريد أن أرى تاريخ ذهابك الى المانيا وتاريخ خروجك منها

— ولكن هل تتصور أن جميع سفرياتى من وإلى المانيا مسجلة فى

جواز سفرى ؟

— هذا هو المفروض

— أن لى وسائل خاصة فى اجتياز الحدود بصفة غير رسمية

وكان أشندن على علم دقيق بهذه المسألة . فهو يعرف أن كلا من الجانب الالمانى والجانب السويسرى يحرس الحدود المشتركة فى دقة فائقة لا تعرف التساهل . ولذلك سأل جوستاف :

— احقا ؟ ولماذا لا تجتاز الحدود الالمانية السويسرية بالوسائل

الرسمية المعتادة ؟ اننا الحقنك بالعمل لأن تمثيلك لشركة سويسرية تورد سلعا ضرورية للأسواق الالمانية ييسر لك السفر الى المانيا ذهابا وإيابا بصورة طبيعية رسمية لا تثير الشك . وقد أفهم أن تجتاز خطوط الحراس اللسان بتواطؤ خاص . ولكن كيف يشمل هذا التواطؤ الحراس السويسريين ؟

فأرسمت على وجه جوستاف نظرة استنكار هائلة ، وقال :

— لست أفهمك ؟ هل تريد أن تلمح الى اننى قد أكون فى خدمة

الالمان ؟ انى أقسم لك بشرى .. لن أسمح لاحد بتجريح استقامتى !

فقال أشندن بهدوء :

— أنك لن تكون الرجل الوحيد الذى يقبض أموالا من المعسكرين

المتحاربين معا ، ولا يقدم معلومات ذات قيمة الى هؤلاء ولا أولئك

— هل تريد أن تقول أن معلوماتى لا قيمة لها ؟ فلماذا إذن أعطينى

من تلقاء انفسكم مكافآت لم يظفر بها عميل آخر من عملائكم ؟ أن

الكروسل نفسه كبراً ما اعرب عن منتهى الارتياح الى خدماتي
فقال له ائسندن فى سرر ولبونة :

— اسمع يا صاحبي ! لا تحاول ان تتعاطف . ان كنت لا تريد ان
تظعننى على جوار سفرك فلن الح عليك فى طلبه . ولكن هل تظن اننا
نشارك المعلومات التى بمدنا بها عملاًؤنا من غير مضاهاة او تمحيص ؟
واننا لا نعتقب نحرركاتهم بوسائلنا الخاصة لا مهما كانت النكنة جيدة
قلا يمكن ان يستمر بجاحها اذا كرره صاحبا مرات عديدة
وكان ائسندن على شئ من الحدق فى لعب البوكر ففررو ان
(يلفه) :

— لدينا معلومات تفيد انك لم تذهب الى المانيا منذ التحقت بخدمة
المخابرات الانجليزية ولكنك كنت تجلس هنا وادعا مطمئنا فى بيتك .
وان جميع تقريراك البدعه مستمدة من مخيلتك الخصبه
ونظر جوستاف الى ائسندن فلم تبين فى ملامحه سوى التسامح
والطيبة والميل للدعابه . فانفرج أسرارير جوستاف ، وهز
كفيه وقال :

— وهل كنت تظننى من الحماقة بحيث اجازف بحباتى فى سبيل
خمسین جنبها فى الشهر ؟ أنا احب روجتى !
فانفجر ائسندن ضاحكا وقال :

— تهنتى الحارة لك على براعتك وخيالك . فما كل انسان
بمستطيع ان يزهو بتمكنه من استغلال مخابراتنا السرية أكثر من
سنة !

— لقد سنحت لى فرصة كسب نقود من غير صعوبة . وكانت
الشركة قد توقفت عن ارسالى الى المانيا منذ بداية الحرب . اما
المعلومات فكنت اتمسقط بعضها من المندوبين التجاريين الآخرين وهم
اصدقائى . وكنت افتح اذننى جيداً فى حانات البيرة والمطاعم والبالع
الصحف الالمانية التى تاتى الى هنا يوميا . وكنت اجد متعة عظيمة
فى تحرير تلك التقارير والرسائل

— بغير شك انها تسلية عظيمة !

— والان ماذا تصنع ؟

لاشئ . وماذا تستطيع ان تصنع ؟ ولا اظنك تخال اننا سنستمر

فى دفع مرتبك الشهرى ؟

— كلا بالطبع

— وبهذه المناسبة هل اكون فضوليا لو سألتك ان كنت قد لعبت

نفس اللعبة على الالمان ؟

فصاح جوستاف باستهجان وحماسة :

— كلا . كيف خطر ببالك هذا الفرض القطيع ؟ ان عواطفى كلها

فى جانب الحلفاء

— وما المانع ؟ اموال الالمان كثيرة جدا وليس هناك اى سبب يحول

بينك وبين اقتناص ما تريد منهم . وستقدم لك بين حين وحين

معلومات ستجد الالمان مستعدين للحصول عليها

— كلا . الالمان قوم غصبيون فيهم عنف ، ومن الخطر ان يهزل

الانسان معهم

— هذا بدل على انك رجل ذكى جدا . واعلم اننا وان اوقفنا مرتبك

الشهرى الا اننا على استعداد تام لدفع مكافآت شخصية على اى

اخبار حقيقية نافعة لنا . ولكن بعد التحقق منها بوسائلنا الخاصة

— سافكر فى هذا الموضوع

واشعل اشندن سيجارة واستغرق فى التفكير قليلا ثم قال :

— لك الفان من الفرנקات السويسرية ان استطعت ان تخبرنى بما

يفعله الالمان عن طريق جاسوس لهم يقيم فى لوسرن ، وهو انجليزى

يدعى جراتلى كايبور

فقال جوستاف بعد لحظة صمت :

— سمعت هذا الاسم . كم ستبقى هنا فى بال ؟

— سابقى الوقت الضرورى . سامتاجر حجرة فى الفندق واخبرك

برقمها . فلذا احتجت الى اخبارى بشيء فى هذا الشأن ستجدينى

دائما فى حجرى فى الساعة التاسعة صباح كل يوم وفى الساعة

السابعة مساء كل ليلة

فقال جوستاف بحذر .

— لا أستطيع ان اجازف بالحضور الى الفندق . ولكنى أستطيع

ان اكتب اليك بما اريد

— وهو كذلك

ونهض اشندن واقفا لبصرف وصحبه جوستاف الى باب
مسكنه . وقال لاشندن وهو يشد على يده مودعا :
— اننا نفرق صديقين اليس كذلك ؟
— طبعاً طبعاً . وستظل تقاريرك فى محفوظاتنا نموذجاً لما ينبغى
ان يكون عليه التقرير الجيد



وقضى اشندن يومين او ثلاثة فى النزهة ومشاهدة معالم بال
ولكن لم ترق له هذه المناظر . فكان يقضى ساعات طويلة فى المكتبات
يقبض صفحات كتب كان يجب ان يقرأها لو ان مدى العمر الف
سنة !

وذات مرة رأى جوستاف فى الشارع فتجاهل كل منهما صاحبه .
وفى اليوم الرابع وصله خطاب مع قهوة الصباح . وكان الظروف
يحمل اسم مؤسسة تجارية لا يعرفها ، وبداخله ورقة مكتوبة على
الالة الكاتبة بغير عنوان وبغير امضاء . وابتسم اشندن لان جوستاف
لا يعلم فيما يبدو انه يمكن مضاهاة خطوط الالة الكاتبة مثل مضاهاة
الخطوط اليدوية تماماً

وبعد ان فرغ من تلاوة الخطاب مرتين بعناية احرقه بعود ثقاب
ثم وضع الرماد فى حوض الفسيل . وحزم بعد ذلك حقائبه وركب
اول قطار قاصدا برن

ومن برن ارسل الى الكولونيل برقية بالشفرة عن طريق السفاره
الانجليزية . وبعد يومين جاءه رسول من السفارة فى حجرة نومه
بالفندق ، وابلغه تعليمات شفوية فى ساعة متأخرة جداً من الليل
حتى لا تكون ممرات الفندق مزدحمة . وبناء على هذه التعليمات
سافر اشندن بعد اربع وعشرين ساعة بطريق ملتوية قاصدا مدينة
لوسرن السويسرية



فصل الثاني عشر

الخاتمة

استاجر اشندن حجرة فى فندق معين صدرت اليه التعليمات المشددة ان ينزل فيه بالذات بمجرد وصوله الى مدينة لوسرن . وبعد ان نفذ اشندن هذه الخطوة ، غادر الفندق ، وكان اليوم رائع الطقس ، من اوائل شهر اغسطس ، والسمس مشرقة والسماء صافية

ولم يكن قد زار لوسرن منذ كان صبيا حديث السن ، فلم يبق فى ذاكرته منها الا صورة غامضة لقنطرة مستقوفة ولتمثال من الصخر يمثل اسدا ، ولكنيسة جلس فيها ساعة من الزمن وقد استولى عليه السأم الممزوج بالرهبة وهو يستمع الى عزف مؤثر على الارغن . فانطلق يجوس خلال المدينة ليجدد مابته من تلك الذكريات القديمة ، وليستمتع بالرياضة فى ذلك الجو الدافئ

وكانت لوسرن فى مدة الحرب خالية من الزوار والغرباء والاجانب كأنما استعادت عزلتها وهدوءها منذ كانت سويسرا دولة جبلية لا يرتادها السائحون من مشارق الارض ومغاربها للنزهة والاسنجمام

كانت الفنادق مغلقة والشوارع خالية ، والزوارق ذات المجاديف المعروضة للايجار بالساعة تتأرجح فى ترواخ عند شط البحيرة وقد سدت الشاطئ تطلب من يستأجرها . والطرق الواسعة المشجرة التى تحف بالبحيرة لا ترى فيها سوى سويسريين يمشون جادين ، وكانهم يحفظون بحيادهم حتى فى نزهتهم على الافدام !

وشعر اشندن بالاعياء من هذه الوحدة الموحشة فجلس فوق مقعد حجرى مواجه للماء ، وراح ينطلق الى المنظر الذى امامه ، فوجده على جماله لا يخلو من سحف . فالماء شديد الزرقة ، والجبال من وراء البحيرة مثقلة بثلوج ناصعة البياض ، فكانما جمال المنظر

بصدم العين ويلطم الحيا . وذكرته لوسرن في تلك الساعة بتلك
الازهار الصناعية المصنوعة من السمك ، المعروسة تحب نواقيس
نظيفة لامعة من الزجاج في صالون انيق خال من الجالسين !

ومهما يكن من شيء فقد كان عارما على الاستمتاع بالطبيعة ما
ظل الجو يديعا مشمساً . فهو لم يكن يرى أى تعارض على الإطلاق
بين امتناع نفسه والقيام بخدمة بلاده . وكان في جيبه جواز سفر
جديد تحت اسم مستعار ، فأحس احساساً طريفاً بأن له شخصية
جديدة . وساعد ذلك على تسليته . فهو ليس إلا انساناً وانما
هو مخلوق خلقه الكولونيل ، احترأع مسنحدث تمخضت عنه
مخيلة جندى ...

ونفض اشندن وتهادى متحفا نحو الفندق . وكان هذا الفندق
من الفنادق الألمانية الصغيرة ، ويعتبر من فنادق الدرجة الثانية ،
ولكنه نظيف كل النظافة ، وحجرة النوم التى استأجرها تطل على
منظر يديع ، وأثاثها من خشب الشربين المطلى بقترة لامعة . ولو
كان الجو رطباً بارداً ، لكانت الحجرة كثيفة اما في هذا الجو الدافئ
الشمس فهى مريحة للنفس باعتة على المرح ...

وفي بهو ذلك الفندق موائد صغيرة متناثرة جلس الى احداها
وطلب زجاجة بيرة . وكانت مديرة الفندق ، وهى زوجة صاحبه ،
متشوقة لمعرفة السبب الذى حدا بهذا الانجليزى للحضور في
هذا الموسم الميت الى لوسرن لقضاء بضعة ايام . وكان اشندن
مستعداً بل ميلاً لاشباع فضولها . فأخبرها انه ابل أخيراً من
اصابة شديدة بحمى التيفويد ، ونصححه الطبيب بقضاء فترة النقاهه
في هذا الفصل البديع من السنة بمدينة لوسرن ، كى ينعم بجمال
الطقس والهدوء البعيد عن ضجة الزحام ومتاعب الحرب . وأخبرها
أيضاً انه كان موظفاً في ادارة الرقابة على الانباء بلندن ، ولذا انتهز
الفرصة لعل اقامته في لوسرن في فندق المانى تساعد على محو
الصدأ عن لفته الألمانية

وطلب منها عرضاً أن ترشح له معلماً ألمانيا . وكانت ربة الفندق
سيدة سويسرية شقراء ضخمة ، ذات وجه بتوش ، وفيها ميل
للشر . فأيقن اشندن انها ستذيع ما أفضى اليها به من معلومات

ورأى أنه صار من حقه الطبيعي ، بعد أن اتسع فضولها بالإجابة عن أسئلتها الكثيرة المتلاحقة ، أن يوجه إليها بضعة أسئلة . ووجد لديها ميلا للانخاض في موضوع الحرب التي جعلت فندقها خاليا تقريبا ، مع أنه في مثل هذا الشهر من السنوات السابقة للحرب ، كان الفندق يكتظ بالنزلاء بحيث يقتضى الأمر البحث عن غرف لهم في البيوت المجاورة . . . وذكرت له أن الكثيرين يأتون لتناول وجبات الطعام في مطعم الفندق ، ولكن لا يقيم لديها بصفة دائمة إلا مجموعتان من الناس ، أحدهما مكونة من زوجين إيرلنديين يقيمان طول السنة في فيفاي ولكنهما يقضيان دائما شهور الصيف في لوسرن . والمجموعة الأخرى عبارة عن رجل انجليزي وزوجته . وهذه الزوجة المالئة ولذا اضطر الزوجان في مدة الحرب للإقامة في بلد محايدين .

وكان أشندن حريصا على ألا يظهر أقل فضول بخصوص هذا الانجليزي وزوجته الألمانية ، لأنه عرف من الوصف أن هذا الرجل هو جراتلى كابور ضالته المشهورة . . . ولكن ربة الفندق أخبرته من تلقاء نفسها أن الزوجين يقضيان معظم النهار في التجول بين الجبال ، لأن الهر كابور عالم في النبات ، وله اهتمام عظيم بالأزهار البرية في هذا الاقليم . وزوجته امرأة لطيفة للغاية شديدة الحساسية نحو مركزها الدقيق ، وما تسببه جنسيتها الألمانية من المتاعب لزوجها . ولكن بطبيعة الحال لا يمكن أن تدوم الحرب إلى الأبد يا سيدى . . .

وأنصرفت ربة الفندق لبعض شأنها وصعد أشندن إلى حجراته . وكان موعد العشاء في الساعة السابعة ، بيد أن أشندن كان حريصا على النزول إلى قاعة الطعام قبل جميع الناس ، كي يستطيع استعراض وجوه جميع من يتناولون الطعام في لحظة دخولهم إلى القاعة . ولذا نزل بمجرد سماع الجرس الذي يدعو الناس إلى الطعام

وكانت القاعة خالية من كل زخرف ، عاطلة من تنباهج الترف ، جدرانها بيضاء ناصعة ، وفوق كل مائدة من الموائد الصغيرة باقة من الزهر . فكان كل شيء على الجملة نظيفا جدا وانيقا جدا ، ولكنه يرحى بسوء طعم الأكل الذي سيقدم في هذا الجو . وفكر

أشندن و أن يعوض نفسه عن ذلك بطلب زجاجة من أحسن أنواع
نبيذ الراين ، ولكنه لم يتأ أن يجازف بلفت النظر الى شخصه
بهذا الاسراف بعد أن رأى فوق ثلاث موائد انصاف زجاجات من
السيذ الرخيص ، وأدرك أن زملاءه يشربون بتقدير شديد على
انفسهم ، ولذا اكفى بطلب كأس كبيرة من البيرة

ودخل القاعة بشعة اشخاص كان واضحا انهم سويسريون جلس
كل واحد منهم الى مائدته الصغيرة وفتحوا الصحف أمامهم وجعلوا
يقرءون أثناء تناول الحساء ، وبعد ذلك دخل رجل طويل القامة
متقدم جدا في السن ، له شعر أبيض كالثلج ، وشارب أبيض متهدل ،
ومعه سيده عجوز قصيرة بيضاء الشعر ترتدى السواد . فأدرك
أشندن انهما الكولونيل الايرلندي وزوجته اللذان حدثته عنهما
ربة الفندق

وجلس الزوجان ، وصب الكولونيل لامراته كوبا من النبيذ ، ثم
صب لنفسه كوبا آخر ثم انتظرا في سكون الى أن قدمت اليهما
الخادمة الريفية ، المثلثة القد والوجه ، وجبة الطعام

وأخيرا وصل الشخصان اللذان كان أشندن في انتظار قدومهما .
وكان أشندن يتظاهر جهده استغاثته بقراءة كتاب الماني . وبمجهود
شديد في ضبط نفسه ، سمح لنفسه أن يرفع عينيه مدة لحظة
واحدة عند دخولهما ، ثم عاد الى الكتاب الالماني المفتوح أمامه

وأظهرته لمحنة هذه على رجل في نحو الخامسة والأربعين ، له
شعر قصير اسود لا يخلو من التجاعيد تتخلله شعرات بيضاء ،
متوسط الطول ، ولكنه يميل للبانة ، وله وجه عريض أحمر
حليق . يرتدى بذلة رمادية وفميصا ذا باقة واسعة مفتوحة .
وكان يتقدم زوجته في السير . ولم ير منها أشندن الا ما أشعره
انها امرأة المانية غير محبة للظهور ، يعار ثيابها غبار كثير

وجلس جرائنلى كايبور الى مائدته وشرع يشرح للخادمة بصوت
مرتفع كيف أنهما مشيا مسافات طويلة ، وأنهما صعدا جبلا ما لم
تكن لاسمه أهمية لدى أشندن ولكن هذا الاسم أثار لدى الخادمة
الدهشة والحماسة

وبعد ذلك قال كايبور بلهجة المانية طليقة تشوبها لكثة انجليزية

واضحاً ، انهما تأخرا كثيراً ، ولذا لم يتسع الوقت امامهما كي
يسنحما ويبدلا نياهما واكتفيا بفصل أيديهما ، وكان صوته في
الكلام رناناً ولهجته مرحة :

— هبا احضري طعامنا بسرعة ، فنحن في شدة الجوع . واحضري
بيرة . هاتى ثلاث زجاجات كبيرة . رياه ما أشد ظمئى ؟

ويبدو عليه انه رجل يتمتع بحبوبة مفرطة ، فاضفى دخوله على
تلك القاعة الراكدة الكثيبة المفرطة النظافة جواً بعث فيها الحياة .
وشرع يتحدث الى زوجته بالانجليزية بصوت يستطيع أن يسمعه
جميع الموجودين . ولكنها سرعان ما قاطعته بملاحظة افضت بها
اليه في صوت خافت

وكف كايبور عن الكلام وشعر اشندن أن عينيه تتجهان الى
ناحيته . أن المسز كايبور فطنت الى وجود شخص غريب فوجهت
نظر زوجها الى ذلك . وقلب اشندن صفحة الكتاب الذى كان
يتظاهر بقراءته ، ولكنه احس أن نظرة كايبور مثبنة عليه بالحاح
شديد

ولما كلم كايبور زوجته بعد ذلك كان صوته منخفضاً جداً حتى
أن اشندن لم يستطع أن يسمع بآية لغة من اللغتين كان يخاطبها .
وعندما جاءتهما الخادمة بالحساء سألها كايبور سؤالاً بصوت
منخفض أيضاً . وكان واضحاً أنه يسألها عن اشندن وما عساه
يكون . ولم تلتقط أذن اشندن المرفعة من أجابة الخادمة سوى
كلمة « انجليزى »

وفرح شخص أو شخصان من عشائهما وانصرفا . ثم نهض
الكولونيل الابرلندى العجوز وزوجته العجوز عن مائدتهما . وتنحى
الكولونيل كي يفسح لزوجته الطريق . أن هذين الزوجين اكلا باناد
من غير أن ينبدالا كلمة واحدة . ومشت الزوجة على مهل الى
الباب . اما الكولونيل فوقف يلقى كلمة الى سويسرى من الموجودين
لعله محام أو موثق عقود . فلما وصلت الزوجة الى الباب وقفت
كانها نعمة مسالمة في انتظار زوجها كي يفتح لها الباب . وادرك
اشندن من هذا المسلك انها لم تفتح في حياتها الباب لنفسها . وبعد

دقيقة جاء الكولونيل المسجور الى الباب ففتح ومرب منه وهو في
انرها

واعراه هذا المنظر فاسترسل في تصور حياتهما معا : وبدأ في
بناء الحوادث والتنجسات . ولكنه لم يلبث ان رد نفسه بحرم
عن الاسرسل في ترف الخلق - واستأنف تناول الطعام

ولما خرج من البهو ، رأى اسنندر كلبا من نوع البول تيرير
مربوطا الى حائطة احدى المناضد . فلما مر به مديده بصورة الية
كى بداعب اذنى الكلب المتدليين الناعمين . وكانت ربة الفندق
واقفة اسفل السلم ، فسألها اسنندر :

— ان هذا الحيوان الجميل ؟

فقلت ربة الفندق في حماسة :

— انه يخص الهر كابور . واسمه فريزى . والهر كابور
يقول ان نسب فريزى أعرق بكثير من سلسلة نسب ملك انجلترا !
وجعل فريزى يسمح يساق اسنندر ويتحسس بطرف اتفه
الربط راحة يده سرورا بملاطفته

وصعد اسنندر الى حجرته كي يأتى بقبعته ، ولما نزل رأى كابور
واقفا عند مدخل الفندق يتحدث الى ربه . ومن الصمت المفاجيء
الذى ساد ادرك ان كابور كان يسأل السيدة منه

ولما مر بينهما الى الشارع رأى بطرف عبه ان كابور ينظر اليه
نظرة اريباب ، واذا بذلك الوجه الضاحك وقد صار آية على الدهاء
وتركه اسنندر واستأنف مسيره الى ان وجد حانة ذات شرفة
يستطيع ان يتناول فيها قهوته في الهواء الطلق ، وبعد الدهوة قرر
ان يعوض نفسه عن زجاجة البيرة التى تجرعا على مضض بدافع
من الواجب على مائدة الغداء ، فطلب افخر كوبيك بمكن ان تقدمه
بلك الحانة

والحقيقة انه كان سرورا لانه أخيرا بدأ يراجه الرجل الذى طالما
سمع عنه الكثير . وكان في مرجوه ان نتعد بينهما صلة التعارف
في مدى يرا او يومين . وهو يعلم انه ليس من المسير اطلاقا ان
يعرف أى انسان بشخص يقضى كلبا عزيزا عليه . بيد انه لم يكن
في عجلة من امره . ولذا سيترك الامور تجرى في اعتنتها . فانههدف

الذى يسعى الى تحقيقه لا يمكن ان يسمح له بالتعجل في العمل واستعرض اشنندن الظروف التى تحيط بالمسألة . فوجد ان جرانلى كايبور انجليزى الجنسية ولد في برمنجهام وهو الآن في الثانية والاربعين من عمره . وروجته التى اقترن بها منذ أحد عشر عاما الثانية المولد الثانية الايوبين . وهذه هى المعلومات العامة عنهما اما المعلومات الخاصة عن ماضى حياة الرجل فهى مكتوبة في وثيقة سرية تذكر انه بدأ الحياة في مكتب محام في برمنجهام ، ثم دخل ميدان الصحافة . واقترن اسمه بعدئذ بصحيفة انجليزية تصدر في القاهرة ، ثم بصحيفة أخرى تصدر في شنغهاي . وفي شنغهاي اتهم بمحاولة اختلاس اموال بطريقة الاحتيال وادين ، وحكم عليه بالسجن فترة غير طويلة

وبعد اطلاق سراحه اختفى كل اثر له مدة عامين ، الى ان ظهر مرة اخرى في مكتب لادارة البواخر في مرسيليا . ومن مرسيليا انتقل للعمل في ادارة اخرى للبواخر بهامبورج . وهناك تزوج ثم انتقل للعمل في لندن ، فأنشأ مكتباً للتصدير والاستيراد ، ولكنه فشل بعد زمن قصير واعلن افلاسه ، فعاد الى الصحافة . ولما اعلنت الحرب ترك الصحافة للعمل مرة أخرى في ادارة البواخر . وفي اغسطس سنة ١٩١٤ كان يعيش مع زوجته حياة هادئة جدا في ميناء سوثهامبتن

وفي بداية سنة ١٩١٥ ابلغ رؤسائه ان جنسية زوجته الالمانية تجعل موقفه حرجا لا يطلق . وكان رؤسائهم راضين من عمله ومدركين لما يعنيه بسبب زوجته الالمانية ، فنقلوه الى فرع الشركة في جنوه . وظل هناك الى ان دخلت ايطاليا الحسب في جانب الحلفاء ، فاستقال واجتاز الحدود ليقیم في سويسرا بأوراق رسمية سليمة لا عيار لها

كل ذلك يدل على ان الرجل مطعمون في امانته ، غير ميسال للاستقرار ، وليس له مورد مالى ثابت . ولكن ذلك لم يكن يعنى أحدا الى ان اتضح ان كايبور كان بالتأكيد منذ بداية الحرب ، وربما قبل ذلك بسنوات ، جاسوسا في خدمة ادارة المخابرات الالمانية . وكان المرتب الثابت الذى يتقاضاه من تلك الادارة هو أربعون جنيهًا

في الشهر

ومع ان هذا في حد ذاته امر خطير ومثير الا انه لم تتخذ اية خطوات ايجابية ضده الى ان دخل في المسألة عنصر جديد . فلو انه اكتفى بان ينقل الى الالمان الانساء التي يمكنه الحصول عليها محليا في سويسرا ، لما تحركت المخابرات الانجليزية للقضاء عليه ، فليس في ذلك ضرر يستحق المبالاة . بل لعله كان من الممكن استخدامه لتبليغ بعض المعلومات المراد ايهام الالمان بها

ولم يكن كايبور يدري ان امره كشف . وكانت خطباته وهي كثيرة جدا تخضع لرقابة دقيقة . والاختصاصيون في المخابرات الانجليزية لا يستعصى عليهم حل اية شفرة . ومع مضي الوقت كان من المستطاع معرفة فلول الجواسيس الذين يتعاملون معه في انجلترا . وفي ذلك فائدة كبيرة . ولكن كايبور جلب على نفسه غضب الكولونيل . ولو انه عرف معنى ذلك ، لارتجف قلبه ، لأن الكولونيل رجل لا يتورع عن شيء اذا تارت تأثيرته على احد

وجليه الامر ان كايبور تعرف في زيوريخ بشاب اسمه جوميز ، دخل منذ مدة قصيرة في خلية المخابرات الانجليزية . واستطاع كايبور بجنسيته الانجليزية ان يخدع الفتى الاسباني ، ويكسب ثقته ، ويبتز منه المعلومات ، الى ان عرف انه يعمل في الجاسوسية لحساب انجلترا . وترتب على ذلك ان كايبور وشي به الى الالمان ، فراقبوه عن كثب وعندما سافر الى المانيا وضبط متلبسا بتصدير خطاب مكتوب بالشفرة ، وحل الالمان رموز تلك الشفرة ، حاكموه وادانوه ورموه بالرصاص !

وكان من المزعج ان تفقد انجلترا جاسوسا نافعا مخلصا في عمله وكان اسوأ من هذا ان تضطر لتغيير شفرة جواسيسها في تلك المنطقة . واثارت نائرة الكولونيل ، ولكنه كظم غيظه ورغبته في الانتقام ، لان مصلحة المخابرات عنده فوق كل اعتبار . فلو ان كايبور كان يخون وطنه حبا في المال فقط ، لكان من الممكن اقتناعه بأخذ اموال انجليزية اكثر من الاموال الالمانية كي يخون مخدميه . وسيكون ذلك سهلا عليه بعد ان سلم اليهم الجاسوس الانجليزي الاسباني الجنسية جوميز ، فاثبت لهم اخلاصه لقضية المانيا ...

وفكر الكولونيل في هذا الاحتمال ثم كلف اتسدر بالاتصال به
ليحكم هل يمكن الاعتماد على كايبور في خدمة المخابرات الانجليزية
أم لا . فان وجده صالحا لهذا فعليه ان يجسر نصه ويقترح عليه
ما يراه مناسباً

وهي مهمة تحتاج الى لباقة شديدة ومعرفة دقيقة بنفوس
البشر . اما اذا اتضح لأشندن ان كايبور لا يمكن شراء اخلاصه ،
فعليه ان يرصد حركاته ويخطر بها الرؤساء . وكانت المعلومات
التي حصل عليها أشندن غامضة ولكنها هامة جدا . والطريف فيها
ان رئيس المخابرات الالمانية في برن مستاء في المدة الاخيرة من كسل
كايبور وعدم اتجاhe . وكان كايبور يطالب بعلاوة ، ولكن الرئيس
الالمانى في برن رفض طلبه ، وصارحه بأنه يجب ان يبدى مزيداً من
النشاط ، ثم اقترح عليه ان يعود الى انجلترا
وفي ذلك المعرض قال الكولونيل لأشندن بعد أن اطلعه على هذه
المعلومات :

— ان استطعت ان تستدرجه الى اجتياز الحدود تكون قد
نجحت غاية النجاح
فسأله أشندن متعجباً :
— وكيف بحق الشيطان تتوقع منى أن اقنعه بوضع عنقه في
حبل المشنقة ؟

فضحك الكولونيل ضحكة بعثت القشعريرة في جسم أشندن
وقال :

— انها لن تكون مشنقة ... بل كتيبة من الرماة !

— ولكن كايبور رجل ماهر

فصاح الكولونيل في ضيق :

— فليكن أنت امكر منه . تباً لك !

وقرر أشندن الا يتخذ أية خطوات نحو التعرف بكايبور . وكل
ما عليه هو تمهيد السبيل امام كايبور كي يخطو الخطوات الاولى
نحو التعرف به . واذا استبطل الكولونيل النتائج فلن يعيد عن
هذه الخطوة

لقد أفهم ربة الفندق انه موظف في ادارة الرقابة الانجليزية ، وقد

نقلت حتماً هذه المعلومات الى كايبور . فلا شك انه ان لم يكن عاجلاً
 فاحلاً سيسعى الى مجادلة اطراف الحديث مع انجليزى يعمل في
 ذلك القطاع الحساس من الادارة الحربية
 وفي الوقت نفسه كان الكولونيل قد زود ائسمن بكمية من
 المعلومات التى لن تغيد الالمان فى شيء . ولما كان ائسمن يحمل هذه
 المرة اسما مستعاراً وجواز سفر مزيفاً ، فليس من المحتمل ان
 يفتن كايبور الى انه بازاء جاسوس انجليزى



الفصل الثالث عشر

دروس

ولم يطل انتظار أشندن . ففى اليوم التالى كان جالسا يمدخل
الفندق يحتسى قدحا من القهوة ، وقد ثقل جسمه ، وكاد يقبله
النعاس على صحوه بعد وجبة غداء دسمة ، عندما برز آل كايبور
من قاعة المائدة

وصعدت مسر كايبور الى حجرتها ، اما كايبور ففك عقال كلبه
الذى اخذ فى الوثب والقفر وبصورة وددة ونب على أشندن .
فصاح كايبور :

— تعال هنا يا فريزى ...

نم التفت الى أشندن وقال :

— انى آسف جدا ، ولكنه لطيف للغاية

فقال أشندن :

— اوه . لا بأس . انه لن يؤذبنى

ووقف كايبور عند الباب ، وقال :

— انه من نوع البول تيرير . وهو نوع نادر الوجود فى القارة

الاوروبية

ويبدو انه كان وهو يتكلم يتفحص أشندن . ثم صاح بالخادمة :

— فبجان قهوة من فضلك يا آنسة

والثفت الى أشندن وقال له :

— لقد وصلت أخيرا . اليس كذلك ؟

— بلى . وصلت بالامس

فتصنع كايبور الدهشة وقال :

— احقا ؟ انى لم ارك بالامس فى قاعة الطعام . هل تنوى الإقامة

طويلا ؟

- لا ادرى فقد كنت مريضا وجئت الى هنا كي اسرد قواي
وجاءت الخادمة بالقهوة . فلما رات كايبور تحدث الى اشندن
وضعت صينية القهوة فوق المائدة الجالس اليها اشندن . فضحك
كايبور ضحكة تنبىء عن حرج يسير
- انا لا اريد ان اقحم نفسى عليك . لكنى لا اعلم لماذا وضعت
الخادمة قهوتى فوق مائدتك

فقال اشندن :

- ارجوك ان تجلس

- هذا كرم كبير منك . فقد عسست في القارة مدة طويلة حتى لقد
اصبحت انسى ان مواطنى يعتبرونها صفاقة من المرء ان يكلمهم بغير
معرفة سابقة ، وبهذه المناسبة هل انت انجليزى ام امريكى ؟

فقال اشندن :

- بل انجليزى

وكان اشندن بطبيعته رجلا خجولا جدا . وقد اجتهد عبثا ان
يشمى نفسه من ذلك النقص الذى لا يتفق مع سنه . لكنه فى
بعض الاحيان يستغل هذه الصفة استغلالا حسنا . فاخذ يشرح
فى تردد وتلعثم الحقائق التى اخبر بها ربة الفندق فى اليوم السابق
وكان موقنا انها نقلتها الى كايبور بحدا فبرها . ولا انتهى منها قال
كايبور :

- انك ما كنت لتأتى الى مكان افضل من لوسرن . فهى واحدة
من واحات السلام فى هذا العالم الذى انهكته الحرب . فانك واثت
هنا فى وسعك ان تنسى تقريبا كل النسيان ان هناك حربا عالمية
فاشبة . وهذا هو السبب فى اننى جئت للاقامة هنا . وانا رجل
مهنة الصحافة

فقال اشندن وهو يبتسم ابتسامة خجلى :

- لقد خطر ببالى وانا اسمعك تتكلم انك تمارس الكتابة
والحقيقة انه كان واضحا ان تعبرا مثل « واحدة من واحات
السلام فى عالم انهكته الحرب » لا يمكن ان يكون مما اكتسبه فى
مكاتب البواخر ...

واسطرده كايبور وعلى وجهه امارات الجذ :

— والمسألة أنني متزوج من سيدة ألمانية

فقال أشندن بسداجة :

— حقا ؟

— ولا اعتقد أنه يمكن أن يكون هناك من هو أشد وطنية مني .
فأنا انجليزى دما ولحما . ولست أبالي أن أقول لك ان الامبراطورية
البريطانية في اعتقادي هي اعظم أداة للخير عرفها العالم في تاريخه
كله . ولكن زواجى من سيدة ألمانية يجعلنى ارى بصورة طبيعية
أن هناك وجهة نظر أخرى . ولست بحاجة الى أن تخبرنى ان اللامان
عيوبهم . ولكنى بصراحة لست مستعدا للقول بأنهم الشيطان
مجسدا ... وفى بداية الحرب قاست زوجتى الامرين ونحن فى
انجلترا . وأنا شخصا لا أستطيع من جانبى أن ألومها لو أنها
شعرت بالمرارة لذلك السبب . فكل انسان هناك كان يظنها
جاسوسة . ولا شك أن ذلك سيجعلك تضحك كثيرا عندما تعرف
شخصيتها ، فهي نموذج ربة البيت الألمانية التى لا يعنىها من العالم
كله شيء سوى بيتها وزوجها وطفلنا الوحيد فريتزى .

وربت كايبور على كلبه وأطلق ضحكة صغيرة :

— نعم يا فريتزى . أنت طفلنا . اليس كذلك ؟

ثم أستأنف حديثه الى أشندن :

— وطبيعى أن هذا الموقف جعل مركزى حرجا جدا فى انجلترا .
وكنت متصلا بعدد من أهم الصحف . فلم يكن محرروها مستريحين
للموضع . ولا أطيل عليك أنني رايت من الاكرم لى أن استقبل وآتى
للاقامة فى بلد محايد الى أن تنتهى العاصفة . وأنا وزوجتى لا
نناقش فى موضوعات الحرب اطلاقا . مع أنها أكثر تسامحا منى
وأكثر استعدادا للنظر الى هذه الكارثة العالمية من وجهة نظرى

— هذا غريب حقا . فالقاعدة أن النساء أشد تعصبا من الرجال

— ان امرأتى شخصية فذة جدا . وأحب أن اقدمها اليك .
وهذه المناسبة لا أدري ان كنت تعرف اسمى : جرانلى كايبور

فقال أشندن :

— واسمى سومرفيل

ثم حدثه عن العمل الذى كان مضطلعا به فى ادارة الرفابة . وخيل

اليه ان ذكر وظيفته كان له صدى في بريق عيني كايبور . ثم اخبره انه ينتسد شخصا يعطيه دروسا في المحادثات الالمانية كى ينتهر الفرصة وينفض الصدا عن معلوماته في تلك اللغة

وانثناء الكلام خطرت له فكرة ، فنظر الى كايبور ورأى ان الفكرة نفسها خطرت له . اى انها خطرت لكليهما في وقت واحد . ومفاد هذه الفكرة ان مسز كايبور تصلح استاذا ممتازا لاشندن

— لقد سألت ربة الفندق ان كانت تستطيع ان تشد لى شخصا ، فقالت انها تظن ذلك مستطاعا . فيجب ان اعيد عليها السؤال .
لانه ليس من الصعب ان تجد رجلا مستعدا للحضور كى يحدثنى بالالمانية ساعة كل يوم

فقال كايبور :

— انا شخصا لا آخذ بتزكية ربة الفندق في هذا . فانت بحاجة الى شخص يتكلم الالمانية الجيدة بلهجة اهل الشمال السليمة . في حين ان ربة الفندق لا تتكلم الا باللهجة السويسرية . سأسال زوجتى ان كانت تعرف لك أحدا . وزوجتى امرأة مثعلمة تعليما عاليا جدا وتستطيع ان تثق بتزكيتهما
— هذا كرم عظيم منك

وجعل اشندن يرمى جرائنلى كايبور على مهل ، فلاحظ ان مينيه الصغيرين الخضراوين فيهما مكر شديد لا يتفق مع الصراحة والمرح الباديين في ملامح وجهه . فهما عيناان سريعتان ثاقبتان . ولكن اذا ومض في ذهنه خاطر مفاجيء تثبت نظرتهما فجأة . فهما عيناان لا توحيان بالثقة . اما وجهه الطيب الباسم العريض ، وجسمه البدين ، وصوته المرح العميق ، فتعوض له ذلك النقص

وكان واضحا انه الان يبذل غاية جهده كى يبدو لطيفا انيسا .
والحقيقة ان اشندن وجد صعوبة شديدة وهو يستمع اليه في تذكر انه بازاء جاسوس عادى ، رضى ان يبيع وطنه بأربعين جنبها في الشهر

وكان اشندن يعرف جوميز الشاب الاسبانى الذى خانه كايبور . وجوميز فتى عالى الهمة محب للمغامرة ، ولم يقبل القيام بخدمة المخابرات الانجليزية رغبة منه في المال بل شوقا الى جو المفامرة

والانارة الرومانسية التى تقترن بالشعور بالاسهام فى قهر الالمان . ولم يكن هينا على اسندن أن ينصوره دينا فى خندق المانى على عمق ست اقدام تحت فناء السجن . لانه كان رقيقا مرحا حافلا بعصارة الحياة . وسأل اسندن بينه وبين نفسه ألم يسعر كايبور بفصة تعترض حلقه وهو يسلمه الى منيته

وسأل كايبور اسندن وقد اتار الغريب اهتمامه :

- اظنك تعرف شيئا من اللغة الالمانية ؟

- طبعاً . فقد كنت طالبا بالمانيا فترة من الوقت ، وكنت اتكلم الالمانية بطلاقة ، ولكن ذلك كان منذ زمن بعيد ، فنسيت الكلام بها . ولكنى اسطيع ان اقرا بها فى سر

- آه . لقد لاحظت انك كنت تقرا كتابا المانيا مساء امس

ناله من احمق ! كان ينبغي ان يكون ذلك الكذب ذكورا . فمند هنية قال لاسندن انه لم يره بالامس . ولكن اسندن كان من الحصافة بحيث لم يظهر على وجهه ما يدل على فطنته الى ذلك الشاخص . وكان عليه ايضا ان يتعطف بغلطة كايبور فيكون على حذر من الوقوع فى مثلها . ومن يدري ؟ لعل كايبور تعتمد تلك الغلطة كى يقرأ اثرها على سحنة اسندن

ونفض كايبور قائلا :

- ها هى ذى زوجتى . فنحن نذهب كل عصر لتسلىق احد الجبال . واسطيع ان ادلك على نزوات بدية سيرا على الاقدام . والازهار حتى فى هذا الوقت من السنة رائعة الجمال

فمنهد اسندن وقال :

- اخشى انى لابد ان اترى الى ان اسرد مزيدا من عافيتى . ومما ساعد اسندن على هذا الكذب ان وجهه كان شاحبا بطبيعته ولا ندو عليه فوته الحقيقية

وهبط مسر كايبور السلم وانضم اليها زوجها فسارا فى الشارع وفريزى يجرى ويقفز بين ايديهما نارة ومن خلفهما تارة اخرى . ولاحظ اسندن ان كايبور بدا على الفور فى الحدث الى زوجته بطلاقة . فلا شك فى انه كان يخبرها بنتائج محادثته مع اسندن

ونظر انفسه الى الشمس المسرقة في بهاء على الحيرة ،
النسيم الرقيق بداعب في هواة أوراق الانسجار الخضراء .
فكان كل شيء يدعو الى رنائه المنى . ولكنه نهض وصعد الى
حجرته ، وادعى على فراشه ، واسعرق في نوم لذيذ

ونزل الى قاعة المائدة في المساء لتناول العشاء ، فوجد آل كايبور
بختان وجنبهما ، وفي طريقهما للانصراف من القاعة وقف كايبور
امامه ودعاه لتناول القهوة معهما في البهو . فلما لحق بهما هناك
وقف كايبور وقدمه الى زوجته ، فانحنت في نضوب ولم ترد على
ترحيب أشندن المهذب ولو بابسامة . فلم يكن من العسير ان يدرك
ان مسلكها عدائي تماما . وقد شعر أشندن بالراحة لذلك

وكانت مسز كايبور امرأة عاطلة من الجمال تقارب الاربعين من
عمرها ، بشرتها جافة خشنه وملامحها غير محددة ، وشعرها مصغف
في حلقة حول رأسها على طراز ملكة بروسيا في عصر نابليون . وهي
ذات قامة ربعة اقرب الى الامتلاء منها الى البدانة ، مثبنة البنية .
ولكن لا يبدو عليها الغباء بل بالعكس تبدو امرأة ذات طبع قوى

وكان أشندن قد قضى من حياته شطرا كافي في ألمانيا فعرف
نسوة من ذلك النمط . ولم يكن ليدهشه ان تجمع بين القدرة
والكفاءة في اعمال البيت ، والبراعة في الطهو ، والمهارة في نسلي
الجمال ، والاحاطة بالمعارف العامة والثقافة الرفيعة

وكانت ترتدي ثوبا ابيض زاد في وضوح سمرة عنقها ، وفسد
انتعلت حذاء تقبلا . وكلمها كايبور بالانجليزية فاخرها بلهجة مرحة
بما احاطه به أشندن من معلومات عن نفسه ، كانها لم يعرف ذلك
منه من قبل . ولكنها كانت تصفى متجهمة

والفت كايبور الى أشندن فقال له بوجه باسم وعينين ناعزتين
لا تستقران من شدة التيقظ :

— اظنك اخبرتني انك تفهم الالمانية

فقال أشندن :

— نعم . فقد كنت طالبا مدة من الزمن في جامعة هايدلبرج

فقال مسز كايبور بالانجليزية وقد ظهرت على ساحتها اشارة
بسيرة من الاهتمام :

— حقا ؟ انى اعرف هايدلبرج معرفة جيدة . لانى قضيت سنة كاملة تلميذة فى احدى مدارسها

وكانت انجليزيتها صحيحة ، ولكن مخارج الحروف حلقة غير مستحبة . وانبرى اشندن بطرى المدينة الجامعية العتيقة ، وجمال المناظر فى المنطقة المحيطة بها . فكانت تستمع لما يقول من طيباء شعورها التوتونى بالتفوق ، فى تسامح واغضاء لا فى حماسة . ثم قالت :

— من المعروف تماما ان وادى تكار من اجمل المواضع فى العالم اجمع

وعندئذ قال كايبور :

— لم اخبرك يا عزيزتى ان مستر سومرفيل يبحث عن شخص يلقنه دروسا فى المحادثات الالمانية مدة اقامته هنا . فقلت له انك ربما استطعت ان ترشحي له معلما

فقالت الالمانية :

— كلا . انا لا اعرف احدا يمكن ان ازكيه عن نقصة . فاللهج السويسرية كرهية كراهة لا توصف . ولن يستفيد بل يضار مست سومرفيل اذا تحدث مع سويسرى بالالمانية

فقال كايبور :

— لو كنت فى مكانك يا مستر سومرفيل لحاولت ان اغري زوجتى بتلقينى هذه الدروس . فهى ان حساز لى ان اقول امرًا مثقفة جدا ومتعلمة تلميذا عاليا

فصاحت زوجته :

— اخ ! ليس لدى وقت لهذا يا جرائتلى . فعندى عملى الخاص وادرك اشندن ان الفرصة اثبتت له . فالفخ امامه ، وكل ما عليه ان يتردى فيه . فالتفت الى مسز كايبور وقال بلهجة اجتهد ان يشوبها الخجل والتوسل والتواضع :

— انه لشيء عظيم حقا لو انك تكرمت بتلقينى هذه الدروس ساعبرها خدمة جليلة وخطوة عظيمة . وانا بطبيعة الحال لا اريد ان اتدخل فى عملك ، فالغرض الرئيسى من وجودى هنا هو استردا عافيتى . وليس عندى اى عمل يشغلنى . وسوف يوافقنى اى

موعد تحديده لهذه الدروس على حسب أوقاتك
واحس بشرارة رضا وسرور تنتقل من الزوج الى الزوجة . ولمح
وميضاً خفيفاً في عيني مسز كايبور الزرقاوين . وقال كايبور :
- انها طبعا ستكون مسألة عملية على اساس واضح . فليس
هناك ما يدعو اطلاقاً الا تجنى زوجتي الطيبة شيئاً من المال . فهل
تعتقد ان عشرة فرنكات سويسرية في الساعة اجرا عاليا ؟
فقال اشندن على الفور :
- اطلاقاً . بل اني اعتبر نفسي محظوظا اذا ظفرت باستاذة من
الدرجة الاولى لقاء هذا المبلغ
فقال كايبور لزوجته بحماسة :
- وما قولك الان يا عزيزتي ؟ انك بالتأكيد تستطيعين ان توفرى
من وقتك ساعة كل يوم كي تسدى الى هذا السيد مكرمة . فيعلم
ان ليس جميع الالمان شياطين كما يظنونهم في انجلترا
وقطبت مسز كايبور حاجبها تقطيباً شديداً جعل اشندن يدرك
الجزء الذي ينتظره في ساعة الدرس اليومية التي سيقضيها في
تبادل الاحاديث معها . والله وحده يعلم كيف سيجهد دماغه بحثاً
عن موضوعات للكلام مع هذه المرأة الثقيلة الواجهة !
ورأها تبدل مجهوداً شديداً كي تقول :
- سيسرنى غاية السرور ان اعطى مستر سومرفيل دروساً
يومية في المحادثة باللغة الالمانية
فقال كايبور مهلاً :
- مبروك يا مستر سومرفيل . لقد ربحت هذه الصفقة . والان
متى تريد ان تبدا الدروس ؟ ايوافقك الغد ؟
- في أية ساعة ؟
- الساعة الحادية عشرة
- هذه الساعة تناسبني جداً اذا كانت تناسب مسز كايبور
فقالت بعدم اكتراث :
- انها ساعة كآبة ساعة اخرى
وتركهما اشندن ليناقشا على سجيتهما النتيجة الرابحة التي

مخضب عنها مناورانهما الدبلوماسية



وفى الحادية عشرة من صباح اليوم البالى بالضبط سمع طرقا خفيفا على باب حجرته . ففتح الباب وهو لا يخلو من توجس . لانه يجب ان يكون فى غاية التيقظ فى حديثه مع هذه السيدة الالمانية الذكية المتوترة الاعصاب وفى الوقت نفسه يجب ان تظهر عليه باستمرار دلائل الصراحة والبساطة

وكان وجه مسز كايبور مقطباً عندما دخلت مما يدل بوضوح على انها مكروهة من وجود اية صلة بينها وبينه . ولكنها جلست وبدأت بغير مقدمات تسأله عن معلوماته فى الادب الالمانى . وكانت تصحح له أخطاءه بدقة . وحين يستفسرها عن بعض المصاعب التى يجدها فى تركيب الجملة ، كانت تشرح له كل شيء بوضوح ودقة

وهذا يدل على انها اذا كانت تكره من صميم قلبها ان تكون بينها وبينه اية معاملة ، الا انها كانت عازمة على القيام بذلك العمل بكل امانة . وكان واضحا ايضا انها لا تملك الكفاءة للتعليم فحسب ، بل وتحب تلك المهنة ايضا . وبمرور الدقائق انطلق لسانها وأبدت مزيدا من الهممة والاهتمام ، حتى صارت بحاجة الى جهد كى لا تنسى انها باراء انجليزى بهيم همجى

وكانت ملاحظة ذلك الصراع تنبع لاشندن شيئا من الرياضة المعتمة . ولذلك كان صادقا عندما سأله كايبور بعد الغداء عن الدرس ، فأجابه بأنه راض كل الرضا . وان مسز كايبور استاذة ممتازة وشخصية جديرة بالاعتبار
وهتف كايبور متهللا :

— ألم اقل لك هذا ؟ انها اعظم امرأة عرفتها !

وسمع اشندن ان كايبور وهو يقول هذا الكلام بطريقه الصاخبة الضاحكة كان صادقا مخلصا لأول مرة

وبعد يوم او يومين عرف اشندن ان مسز كايبور كانت تعطيه هذه الدروس لغرض واحد وهو تمكين زوجها كايبور من مزيد من القربى بينه وبين اشندن . فقد حصرت نفسها بدقة فى مسائل الادب والموسيقى والرسم . ولما حاول اشندن ان يخبرها وطرق موضوع

الحرب ، لم يكن منها الا أن أوقفته عند حده قائلة :

— اظن ان هذا موضوع يحسن بكلينا ان نتجنبه يا هر سومرفيل واستمرت تعطيه الدروس بدراسة تامة ، بحيث يظفر بمقابل نادل للاجر الذى يؤديه ، ولكنها كانت تأتى كل يوم بنفس الوجه الكالنج المقطب . ولم يفارقها هذا الكره الا تحت حملة التيسيريس . وحجرب اشندن جميع اساليبه من تقرب وامتنان وتواضع وتعلق وحياء ، ولكنها احفظت بعدائها وبرودها . انها من الطراز المنعصب من البسر . ووطنيتها وطينة عدوانية ولكنها نزيهة . وسر كراهيتها لانجلترا والانجليز انها ترى فى تلك الامبراطوية العقبة الاساسية فى وجه السيادة الالمانية على العالم

ان مثلها الاعلى عالم المانى تكون فيه جميع الامم غير الالمانية خاضعة لالمانيا ، كما كانت روما سيدة العالم القديم ، بحيث ينعم اهل الارض كافة بمزايا العلم الالمانى والفن الالمانى والثقافة الالمانية

ولم تكن هذه السبلة بلهاء . فقد قرأت كثيرا فى لفسات شسى وكانت تستطيع ان تتكلم عن الكتب التى قرأتها كلاما ينم على ذوق وحس . وكانت لديها معلومات عن الرسم الحديث والموسيقى الحديثة بهرت اشندن

وأعجبه ان يسمعها ذات مرة قبل الغداء تعزف مقطوعة صغيرة لطيفة للموسيقى الفرنسى دى بوسى . وكانت تعزفها فى ازدرام لان المؤلف فرنسى وموسيقاه خفيفة ، ولكن مع تقدير على مضمض لرشاقتها ومرحها . ولما هناها اشندن على اجادة العزف هرت كتفيها وقالت :

— موسيقى مضمحلة لامة مضمحلة

ثم بدأت يبيديها الفويين تعزف المقطوعة الاولى لاحدى سمفويات بيتهوفن . ثم لم تلبث ان كفت قائلة :

— ماذا تعرفون ايها الانجليز عن الموسيقى ؟

فابتسم اشندن وقال لكايبور :

— مارايك فى هذا ؟

— انا اعترف بهذه الحقيقة . فالقليل الذى اعرفه عن الموسيقى

تعلمته من زوجتي . ولبتك تسمعها وهي تعزف شيئا ممتازا ، فان
قلبك سيهتز حتما لروعة ذلك الجمال الصافي
فقالت الالمانية وقد لانت اساريرها لاطراء زوجها قليلا :
- انتم معشر الانجليز لا تحسنون الرسم ولا النحت ولا
الموسيقى

فقال اشتندن في ابتسام :
- ولكن نفرا منا يحسنون نظم الشعر
- هذا شيء اعترف به . انتم شعراء . ولست ادري السر
والنفقت الى زوجها قائلة :
- هيا يا جرانتي الى قاعة الطعام فقد اعد الغداء
وتركا اشتندن مفكرا



الفصل الرابع عشر

صدقة

واشندن بطبيعته شديد الإعجاب بالفضيلة ، ولكنه لا يشمر ولا يمسئ من الشر والرديلة . وكان الناس في بعض الأحيان يحسبونه انسانا بلا قلب ، لانه كان يهتم اهتماما ذهنيا بالآخرين من غير ان يتعلق قلبه بهم . وحتى القلة من الناس الذين تعلق بهم كانت عينه نرى في نراة وجلاء جانبي المزاي والتقالص فيهم . فعندما يحب انسانا لم يكن حبه له لانه عمى عن عيوبه ؛ بل لانه لا يبالي بتلك العيوب ، ويقبلها في تساهل وهو بهز كتفيه ، أو يقارنها بمزايه فتطفئ المزاي على العيوب . ولانه كان يزن اصحابه بميزان حصيف لم يخب أمله في أحد منهم ، ولذا لم يفقد صداقة أحد . ولم يطالب يوما صديقا له بأكثر مما يستطيع

وبفضل هذه السليقة استطاع أشندن أن يرقب آل كايبور ويدرس الشخصيتين من غير تجن ولا تحيز . فبدت له مسز كايبور غير معقدة التركيب ، وهي لهذا أسر فهما من زوجها . كان واضحا جدا انها تكره أشندن ، مع ان ظروفها تحتم عليها أن تكون شديدة الالذب في معاملته . مما جعل عواطفها تغلبها على أمرها في بعض الأحيان ، فتكون لهجتها في مخاطبته نابضة بالفظاظة . ولاحظ ايضا من الاختلاج الخفيف الذي يعترى شفيتها حين يربت زوجها ، بيده الغليظة على كفها في حنان ، انها شديدة الارتباط بزوجها ، وان الحب الذي بينهما صادق عميق مؤثر

وجعل أشندن بدون الملاحظات التي تتجمع له في الايام القليلة الاولى الى أن تبث له ان مسز كايبور تحب زوجها لأن طبعها أقوى من طبعه ولانها تشعر باعتماده عليها . كانت تحبه لاجابه بها .

وكان من السهل ادراك أن هذه المرأة العاطلة من الجمال ، المحردة من روح الفكاهة والاناقة والجاذبية ، لم تصادف في حياتها رجلا اعجب بها قبل أن تلتقى بكايبور ، ولذا صار اعجابه جوهريا لانوثتها . وأصبحت تستسيغ مرحة ونكاته الصاخبة كأنه طفل كبير كثير الضجة . فهي اقرب في شعورها نحوه الى الامومة . وهي تحبه وترعاه وتغضى عن مواطن ضعفه ، التي لا شك في أنها لم تكن خافية على فطنتها

واما من جهة الجاسوسية فان أشندن على الرغم من تساهله التمدد ازاء الضعف البشري ، كان ينظر الى خيانة المرء لوطنه نظرا لمن مالى نظرة قاسية . ولا شك ان زوجته كانت تعرف انه جاسوس . ولعل اتصال الالمان به في البداية كان عن طريقها . ولعله لم يكن ليقبل القيام بذلك العمل الشائن لولا أنها دفعتة اليه دفعا . وهى امرأة مستقيمة امينة تحب زوجها ، فاية وسيلة ملئوة لجأت اليها كي تقنع نفسها بشرعية اكراه زوجها على قبول مهمة معيبة وضيعة مثل هذه المهمة ؟ هذا سؤال لم يستطع أشندن أن يجد له جوابا على ضوء تصويره لتكوين مسز كايبور النفسى

اما جرانلى كايبور فله شأن آخر . اذ ليس فيه ما يسرعى الاعجاب . ولكن أشندن لم يكن يبحث عن موضوع للاعجاب . وكان في كايبور اشياء كثيرة قريبة وفذة وغير متوقعة في ذلك المخلوق السوفى . وكان أشندن يرقب باستمتاع اساليب كايبور في محاولة استدراجه الى حباله . فبعد يومين اثنين من الدرس الاول اقبل كايبور بعد العشاء وقد صعدت زوجته الى حجرها فالقى بنفسه في مقعد بجوار أشندن . وجاء فريترى فوضع راسه فوق ركبته . فقال كايبور :

— انه مخلوق بلا عقل . ولكن قلبه من ذهب . انظر الى هانين العس الحمرابين وخرنى ، هل رأيت في حياتك نظيرا لهما فى الغاء ؟ وما أقبح وجهه . ولكن ما اشد سحره !

— اله عندكم مدة طويلة ؟

— من قبيل اعلان الحرب . وبهذه المناسبة مارايك فى اخبار اليوم ؟

اننى طبعا لا اتناقش في هذه الامور مع زوجتى . فلا تستطيع ان تصور مدى سرورى اذ اجد مواطنا لى فى لوسرن افتح له قلبى
وقدم الى اشندن سيجارا سويسريا رخيصا وقيله اشندن
على سبيل التضحية الكريمة . واستطرد كايبور بقول :

— ان الامان طبعا ليست امامهم اية فرصة للنصر . وكنت موفنا
من هزيمتهم منذ دخلنا المعركة . والحقيقة اننى حزنت حزن العمر
كله عندما ادركت ان جنسية زوجتى تقف بينى وبين الاشتراك فى
اى عمل من أعمال الحرب . وقد حاولت ان اتطوع منذ اعلنت
الحرب ولكنهم لم يقبلوا تطوعى بسبب سننى . ولست ابالى ان
اخبرك انه فى حالة استمرار الحرب الى امد طويل فلا بد ان اصنع
شيئا . ولا شك ان معرفتى بلغات كثيرة يمكن ان تجعلنى اداة
نافعة فى الرقابة مثلا . وهذا فيما اظن هو الديوان الذى تعمل فيه.
اليس كذلك ؟

وكان هذا هو الموضوع الذى يريد الوصول اليه . ولما
كان اشندن يتوقع منه تلك الخطوة ، فقد رد عليه بالاجوبة التى
امدها من قبل . وادنى كايبور مقعده قليلا من اشندن وقال بصوت
خفيض :

— انك طبعا لن تخبرنى باى شيء من الاسرار التى لا ينبغى
البح بها . ولكن هؤلاء السويسريين فى لوسرن ضالعون مع الالمان
بصورة واضحة ، ولا نريد ان نتيح لاحد منهم فرصة استراق
السمع

وشرع يخبر اشندن بعدة اشياء ومعلومات لها صفة سرية ثم
قال :

— هذه امور ما كنت لآخبر بها احدا سواك . ولكن لى اصدقاء
فى مناصب ذات نفوذ ولهم بى ثقة ..

وتظاهر اشندن بالثقة ايضا وافضى اليه بعدة اشياء لها صفة
السرية . بحيث افترقا وكل منهما مستريح لما حصل عليه من ثقة
الآخر . وايقن اشندن ان الة كايبور الكاتبة دائبة على العمل فى
اليوم التالى ، وان رئيس المخابرات الالمانية فى برن سيتلقى عن
قريب تقريراً ممتعا جدا من كايبور

وذات مساء بعد العشاء صعد أشندن متجها الى حجرته فمر
بباب حمام مفتوح ورأى يداخلة آل كايبور . وصاح كايبور بلهجته
الودود

— ادخل . اتنا نفسل فرينزى

وكان الكلب يلطخ نفسه دائما بالاقذار مع أن آل كايبور يعتران
جدا بنظافته . ودخل أشندن فوجدهما منهماكين في عملية
الاستحمام . وقال كايبور وهو يدعك بالصابون فروة فرينزى :

— اتنا مضطرون للقيام بهذه العملية ليللا . لأن آل فيزجيرالد
يستخدمون هذا الحمام ويفضهم جدا أن يستخدمه كلنا . ولذا
ننظر الى أن يناموا . هيا يا فرينزى اظهر حسن تربيتك وأنا
أصبن لك عينيك

واخذ الكلب يمز ذيله اظهارا لتهديه ودمائه . وكايبور لا يكف
عن التنظيف وهو بشر تر ملاطفا كلبه كأنما يتحایل عليه تحایل الاب
الحنون على طفله الصغير . ومسز كايبور تصفى وتبتسم ابتسامة
يسيرة من غير أن تفارق مسحة الجذ ملامح وجهها :

— والان اذهب الى امك كي تتولى تجفيف جسمك !

فجلست مسز كايبور وتلقته بين ساقياها القويتين وجعلت تجففه
جيدا الى أن طفر العرق من جبينها . . . وتأثر أشندن جدا بهذا
المنظر العائلى الهادئ حتى أنه كان يرتجف قليلا ، وهو يستأنف
طريقه الى حجرته

وفى يوم من أيام الاحد أخبره كايبور أنه سيذهب مع زوجته في
رحلة بالجمال ، وستناولان الغداء في مطعم جبلى صغير ، واقترح
على أشندن أن يصحبهما وكل منهم على نفقته الخاصة طبعاً . وكان
قد انقضى على حضوره الى لوسرن ثلاثة أسابيع ، فقدر أشندن
أنها مدة كافية للنقاهة بحيث يكون معقولا أن يخرج في مثل تلك
النزهة . وخرج الثلاثة معا . وقد قرر أشندن أن يكون على حذر
فليس من المستبعد أن يكون كايبور اكتشف صنعته الحقيقية ، فمن
الأفضل أن يكون على حذر ولا يقترب من حافة هوة في الجبيل ،
لأن مسز كايبور في هذه الحالة لن تتردد في دفعه بيسديها القويتين
خدمة لوطنها . وفى الوقت نفسه لم يسمح لحذره أن يفسد عليه

استمتعنا بالرحلة والمناظر والجو البديع في ذلك النهار

ولم يكف كايبور عن الكلام ، وروى حكايات كثيرة مضحكة .
وكان يضحك من نفسه لأن العرق يتصبب من وجهه الأحمر البدين ،
وأدهش أشندن بمعلوماته المستفيضة عن الأزهار الجبلية . وكان
ينتفى منها نماذج بديعة ، ويظهر في عينيه الإعجاب والحنوع .
فقال زوجته :

— أن علم النبات هو هواية زوجي . وأحيانا أضحك منه ومن
تعلقه بالأزهار . وفي كثير من الأحيان عندما تكون في ضائقة
لا تسمح لنا بدفع مطلوبات الجزائر ، أراه ينق كل مافي جيبه
ليأتينى بياقة من الورد

وكان أشندن موقنا من صدق تعلق كايبور بالأزهار ، وعسوقه
لها ولزوجته . وذلك يدل على رقة في احساسه لم يعجب أشندن
من وجودها لدى رجل دفع بالشباب الاسباني الى الموت . فالقلب
الانساني ينسج للنقاش

وعندما وصل الثلاثة الى المطعم الجبلي المطل على البحيرة ،
كان ممتعا حقا أن يرى كايبور يصب في حلقه بتلذذ عظيم زجاجة
مثالوجة من البيرة . وما كان يوسعك الا تتجاوب مع رجل يحب
اللذات البسيطة في الحياة بهذا السرور الواضح

وتناول الثلاثة الطعام في الشرفة الجميلة وقد سحروهم المنظر
الخلاب ، حتى أن الدموع طفرت الى عيني مسر كايبور ، فقالت :
— ما أشد خجلي من نفسي ! فبالرغم من علمي أن مذبحة عالية
تدور من حولنا ، لا أستطيع أن أشعر في أعماق قلبي في هذه اللحظة
الا بالسعادة والامتنان

فتناول كايبور يدها وضغط عليها وأخذ يناديها بألفاظ التدليل
باللغة الالمانية ، فتأثر أشندن تأثرا عظيما وتركها ليخلوا الى
نفسيهما ، وذهب يتجول في الحديقة . ثم جلس فوق مقعد حجري
هناك ، وأخذ يقلب في ذهنه مأساة هذا الانسان الغريب الاطوار
الذي تجتمع فيه البساطة والرقة والخسة والمرح وخفة الدم .
وحاول أن يحلل اللغز الذي دفع به الى سلوك هذه الطريق
الشائكة . ولم يجد حلا يرضى عقله . وتمنى لو ان الناس في هذه

الدنيا كان كل منهم اما ابيض واما اسود بغير اختلاط او تنوع
هل كايبور انسان طيب احب السر ام هو انسان سرير احب
الحير ؟ وكيف امكن ان توجد فيه جنبها الى جنب ، وفي اتساق
تام . كل هذه الصفات المتضادة ؟ انه اخائن لا يؤنبه ضميره على
نيائه بل يجد فيها لذة

انه الان موثق ان كايبور يجد مسعادة وزهوا في خيائه وطنه ،
ولذا فمن العبث ان يحاول الوصول معه الى اتفاق لشراء خدماته
لبلاده . وتأثير روجته عليه شديد جدا ، وهو في اعماق نفسه
معتقد ان النصر معقود للامان في النهاية ، وهو يريد ان يكون مع
الفريق الظافر

لا حيلة في الامر اذن ، ويجب الايقاع بهذه الشخصية الفريدة
ولكنه حتى الان لا يعرف كيف سيكون سبيله الى ذلك
ونبهه صوت آل كايبور مقبلا نحوه :

— أين ذهبت ؟ انت معلوم في الاختلاء بنفسك امام هذا الجمال
الساحر . وهذا طبعا تغيير كبير تشعر به بعد معيشة الحرب
المرهقة للاصصاب في انجلترا
— الفرق كبير جدا

— وبهذه المناسبة هل وجدت صعوبة في مبارحة البلاد ؟

— لم اجد ادنى صعوبة

— قيل لي انهم يدققون كثيرا على الحدود في هذه الايام

— لم اجد اية صعوبة ولا اظنهم يدققون كثيرا مع الانجليز .

حتى لقد خبل الى ان فحص جواز السفر كان سوريا

وتبادل الزوجان نظرة خاطفة حار اشندن في فهم مغزاها .

ولعل كايبور يفكر في احتمال العودة الى انجلترا لغرض ما

واقترحت مسز كايبور ان يعودا الى لوسرن . . .

وبعد يومين من هذه النهضة ايقن اشندن ان في الجو شيئا ..

ففي غضون درس الصباح قالت له مسز كايبور :

— سافر زوجي الى جنيف اليوم لعمل يخصه

— وهل سيمكث هناك طويلا ؟

— كلا . يومين لا أكثر

وأحس احساسا غامضا أنها تكذب وخطر له أن كايبور
أُسندعى الى برن لمقابلة رئيس المخابرات الألمانية هناك . ولذلك
انتهر اشندن الفرصة وقال للخادمة أثناء الغداء :

— عندك اليوم عمل أقل يا آنسة . فقد سمعت أن الهر كايبور
سافر الى برن

— نعم ، ولكنه سيعود غدا

ولم يكن هذا انبائا كافيا لظنونه ، ولكنه علامة على أن رأيه قد
يكون صحيحا . وكان يعرف في لوسرن سويسريا على استعداد في
أوقات الضرورة للقيام بما يكلفه به من مهام ، فطلب منه اشندن
أن يحمل خطابا الى برن . وكان الخطاب يوصى بالبحث عن كايبور
هناك ونعقب حركاته

وفي اليوم التالي ظهر كايبور مع زوجته على مائدة العشاء .
ولكنه اكتفى بأن هز رأسه لاشندن . وبعد الطعام صعد الزوجان
توا الى حجرتيهما والاضطراب باد عليهما ، حتى أن كايبور كان
يسير على غير عادته مقوس الكتفين لا ينظر يمنة ولا يسرة

وفي اليوم التالي تلقى اشندن الرد على خطابه من برن مع
الرسول الخاص بما يؤيد ظنونه . فقد كان كايبور هناك وقابل
رئيس المخابرات الألمانية ، فأيقن اشندن أن المقابلة كانت صدمة
لكايبور . وأن الألمان سئموا دفع مرتب كايبور وهو قابع في
لوسرن لا يؤدي أى عمل . وغالبا يكون قد استحثه على العودة الى
انجلترا لخدمة الألمان هناك

هذا مجرد تخمين طبعاً ، ولكن صناعة الجاسوسية تعتمد على
السُخمين والفتنة الى حد كبير . وكان اشندن يعلم من جوستاف
أن الألمان يريدون ارسال شخص ما الى انجلترا للاشراف على
جواسيسهم هناك . فان صح ذلك التخمين فقد سنحت الفرصة
لاعداد الكمين



الفصل الخامس عشر

الضخ

وفي اليوم التالي عندما حضرت مسز كايبور لتعطيها درسا كانت واجمة وغير مستقرة ويبدو عليها الاعياء . وادرك اشندن أن آل كايبور قضيا معظم الليل يتكلمان . وتعنى لو عرف ما تبادلوه من حديث ، وهل استحثته على السفر أم حاولت أن تثنيه عنه

وجعل اشندن يرقبهما أثناء الغداء ، فلاحظ انهما لم يتبادلا كلمة واحدة على خلاف العادة ، ثم غادرا المائدة مبكرين . ولكن عندما انصرف اشندن رأى كايبور جالسا في البهو بمفرده فبادر اشندن قائلا :

— اهلا بك . كيف حالك ؟ لقد كنت في جنيف

— هكذا قيل لى

— تعال تناول قهوتك معى فزوجتى المسكينة مصابة بالصداع . وقد قلت لها أن من الخير أن ترقد قليلا . والمسألة أن المسكينة منزعة ، لأنى افكر في السفر الى انجلترا

ف ضبط اشندن اعصابه ولم يظهر عليه أى رد فعل وقال :

— وهل ستطول غيبتك هناك ؟ سنفتقدك

— الحقيقة انى سئمت هذا التعطل . ويبدو أن الحرب ستطول كثيرا ، وليس فى استطاعتى أن أبقي هنا الى الأبد ، فضلا عن انى لا أملك الموارد الكافية للاقامة المستديمة هنا . فيجب أن أكسب قوتى . ومهما كانت زوجتى المانية ، فلا بد أن أقوم بتصيبى من الواجب الوطنى . وزوجتى متمسكة بوجهة نظرها الألمانية ولا اكنتمك انها مستاءة . وانت تعرف خصال النساء فى هذه الامور

وكان واضحا فى نظرات كايبور انه خائف من السفر الى انجلترا

ويريد البقاء في سويسرا . ولكن البقاء معناه ضياع المرتب الشهري ، وهو بطبيعة الحال كان يريد من زوجته أن تحرصه على البقاء . ولكنه لم يجد لديها ما ينتظر . ولعله لم يستطع أن يظهر لها ما يكنه من الفرع

وسأله أشندن :

— وهل ستأخذ زوجتك معك ؟

— كلا . انها ستبقى هنا

ومعنى ذلك أن مسز كايبور ستتلقى خطاباته وتحولها الى رئيس المخابرات في برن ليستخلص ما فيها من معلومات شفرية واستطرد كايبور :

— لقد طال بعدي عن انجلترا ولست ادرى كيف أحصل على عمل يساعد في المجهود الحربي الان . فماذا كنت تصنع لو كنت في مكاني ؟

— لا ادرى . ما هو نوع العمل الذي تفكر فيه ؟

— اظنني استطيع ان اقوم بمثل العمل الذي تمارسه ، فليتك تعطيني خطاب توصية الى احد معارفك في ادارة الرقابة

ولا شك انه سيكون كسبا عظيما للامان ان يكون لهم جاسوس في ادارة الرقابة . وادرك أشندن أن كايبور اخبر الرئيس في برن أن موظفا في الرقابة البريطانية يستجم في لوسرن فرسم له تلك الخطة

— ان رئيس الادارة يعزنى كثيرا واستطيع ان اعطيك جواب توصية ان شئت

— اكون شاكرا جدا

— ولكنى بطبيعة الحال ساذكر له جميع الحقائق المتعلقة بك . وساقول ايضا ائى التقيت بك هنا ولم اعرفك الا منذ اسبوعين

— طبعاً طبعاً . ولا ادرى حتى الان هل استطيع الحصول على تأشيرة بالدخول ام لا

— لا اظنك ستجد ادنى صعوبة

ووقف كايبور فجأة وقال :

— يجب ان اصعد لارى زوجتى واطمئن عليها . متى ستكتب

لى الخطاب ؟

— فى اى وقت تنساء . هل ستسافر فورا ؟

— بأسرع مايمكن

وتركه كايبور . وبقي اثنى عشر ربع ساعة تم اسرع الى حجرته
وحرر عدة خطابات منها تقرير الى الكولونيل . وتعليمات الى السفارة
فى برن كى تعطى كايبور تأشيرته الدخول الى انجلترا فور طلبها .
وكتب ايضا خطاب التوصية الذى طلبه كايبور . . .

وفى ساعة العشاء سلم اثنى عشر الى كايبور خطاب التوصية
وبعد يومين غادر كايبور لوسرن وبقي اثنى عشر ، واستمر يتلقى
دروسه اليومية على يد مسز كايبور ، وقد اصبح لسانه طلقا فى
اللغة الالمانية وكثرت احاديثها عن جينه وعن الفن والحياة
والرحلات . وكان فريتنزى يقبع بجوار مقعدها فى هدوء . وتجذب
اذنيه وتقول :

— ان المسكين يقتقد سيده . الحقيقة انه لا يحب غره ، ويتقبلنى
اكراما لخاطره فقط

وبعد انتهاء الدرس فى كل صباح كان اثنى عشر يذهب الى مكتب
شركة كوك ليسال عن خطابات له فقد جعل عنوانه هناك . وكانت
التعليمات الصادرة اليه الا يقادر لوسرن الا بعد صدور أوامر
جديدة . فلم يكن امامه سوى الانتظار

وبعد ايام قليلة تلقى خطابا من القنصلية فى جنيف يفيد ان
كايبور طلب تأشيرة الدخول وحصل عليها ورحل عن طريق
فرنسا . ولما قرا اثنى عشر هذه الأنباء ذهب للترهة على الاقدام على
شاطيء البحيرة . وعند عودته رأى مسز كايبور خارجة من
مكتب كوك . فادرك انها جعلت عنوان مراسلاتها هناك ايضا .
وحياها قائلا :

— هل جاءتك انساء من هر كايبور ؟

— لم تصلنى خطابات منه بعد

وسار بجانبها وكانت قلقة بعض الشيء . ولكن فى اليوم النالى
لاحظ انها كانت غير مستقرة اثناء الدرس . وكان البريد يصل
عند الظهر . فاستاذنت قبل انتهاء الدرس بخمس دقائق . وكان

اشندن يعلم انها لن تتلقى من كايبور اية خطابات
وبعد قليل ذهب اشندن الى مكتب كوك فوجدها واقفة هناك
معتقة الوجه . ولما راته صاحت :
- لقد وعد زوجي أن يرسل خطابا من باريس . ولذا انا واثقة
ان هناك رسالة لي في البريد . ولكن هؤلاء الأغبياء يقولون انه لا يوجد
شيء . يالهم من مهملين ! هذه فضيحة !
ولم بدر اشندن ماذا يقول وسال عن خطاباته . وسألت مسز
كايبور الموظف عن موعد البريد فقيل لها انه الخامسة بعد الظهر
وفي اليوم التالي جاءت تعتذر اليه عن عدم استطاعتها تلقيته
الدرس . وكان واضحا ان جفونها لم تغمض طول الليل . وفي
المساء وصلته مذكرة منها بأنها مضطرة لابقاف الدروس
ولاحظ في الوقت نفسه انها انقطعت عن تناول طعامها في حجرة
المائدة . وصارت تقضي اليوم كله في حجرتها ، ولا تخرج الا للذهاب
الى مكتب كوك . وشعر اشندن بالاسف الشديد لها وهي تقضي
الساعات تلو الساعات في قلق وفزع
واخيرا اعطاه موظف كوك ذات صباح خطابا من الكولونيل على
هيئة رسالة من الرسائل التجارية العادية :
« سيدى العزيز ، ان البضاعة التي ارسلتموها من لوسرن
وصلت في موعدها المحدد . ونشكر لكم دقة تنفيذكم لتعليماتنا »
وايقن اشندن ان كايبور لقي مصيره فسرت في جسده رعدة
وهو يشتري من مكتب كوك تذكرة سفر الى جنيف
وفي هذه اللحظة دخلت مسز كايبور فهايته أخلقة السوداء حول
عينيهما وشحوب الموت الذي يعلو سحنتها . وترنحت في مشيتها الى
ان وقفت امام الموظف وسألته عن بريدها . فhez الموظف رأسه
سلبا . فتوسلت اليه ان يعيد الفحص فامتثل اشفاقا عليها
وعندئذ حصل شيء رهيب : فقد ألقى فريترى رأسه الى الورا
ثم عوى عواء حادا متصلا يمزق الاعصاب . فنظرت اليه مسز
كايبور في فزع وقد برزت عيناها من محجرتها . وأصبح ماكانت
تخشاه يقينا مقطوعا به لا سبيل الى الممارسة فيه ...

« انتهت »

المقصود من العالمية للجميع

اسكندر ديماس	الفرسان الثلاثة "جزيين"
"	الكونت دي مونت كريستو
مارغريت ميتشل	ذهب مع الريح "جزيين"
جون شتاينبك	رجال ونساء .. وحُب
سومرست موم	ليلة غرام
"	كفت هابتر
مارسيل موريت	غادة الكامليا
جورج سيمنون	جريمة في الريفييرا
بيرك باك	الأرض الطبية
"	عزرا
سير والتر سكوت	ايفانهر "ألفايس للأورد"
شارل ديكنز	رافيد كوبر فيلد
فيكتور هيغو	أحدب نوتر دام
يوهان جوته	الام فتر
ارنست همنغواي	العبور والبحر
"	سوف تشرق الشمس
اجاتا كريستي	الكأس الأخيرة
"	عدالة السماء
"	القاتل الخفي
"	الزمن الفاضل
"	غادة طيبة
جيمس هيلتون	عزراء وثلاثة رجال